قضايا الجندر فى التفسيرات النسوية لقصص القرآن الكريم

دراسة نقدية

د. عماد حسن مرزوق

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد

كلية الآداب – جامعة المنوفية

إصدار يوليو لسنة ٢٠٢٤

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

ملخص البحث :

قدم الفكر النسوى مجموعة من المفاهيم المستحدثة يأتى على رأسها مفهوم الجندر **Gender** أو النوع الاجتماعى الذى يمثل من المنظور النسوى حجر الأساس نحو مساواة المرأة بالرجل مساواة تامة، وما يستتبع ذلك من حصول المرأة على حقوقها، حيث يمكن من خلال مفهوم الجندر القضاء على الفروق القائمة على الجنس بين الرجل والمرأة والمثليين أيضا، بوصفها فروقا قائمة فى جوهرها على تمييزات اجتماعية وثقافية – وليست طبيعية كما قد تبدو– تكونت عبر تاريخ طويل من الهيمنة الذكورية التى أدت إلى تهميش المرأة وسلب حقوقها.

وهناك عدة اتجاهات نسوية منها نسوية رافضة للدين لتعارض تعاليمه وأحكامه – من وجهة نظر هذا الاتجاه– مع ما يقدمه الفكر النسوى من المطالبة بحقوق النوع الاجتماعى، ومساواة المرأة مساواة تامة بالرجل، وكذلك إعطاء المتحولين جنسيا حقوقهم فى المجتمع، واحترام توجهاتهم الجنسية القائمة على اختيارهم لهويتهم الجندرية، وإن كانت مختلفة عن جنسهم الذى ولدوا عليه.

وهناك اتجاه نسوى آخر يطلق عليه النسوية الإسلامية يسعى إلى المطالب ذاتها التى تطالب بها النسوية الرافضة للدين، غير أنه يرى أن الدين لا يتصادم مع هذه المطالب، ويسعى هذا الاتجاه إلى إزالة التعارض بين المطالب النسوية عن طريق إعادة تفسير للقرآن الكريم من المنظور النسوى بحيث يبدو القرآن الكريم متوافقا مع الرؤية النسوية لقضايا الجندر.

وقد ركزت كل من النسوية الرافضة للدين والإسلامية فى تناولهما للقرآن الكريم – فى الأغلب – على المواضع الصريحة فى القرآن الكريم التى تتناول موضوعات المرأة كآيات الزواج، والميراث، والقوامة، والحجاب وغير ذلك، لكنها فى الوقت نفسه تناولت – أحيانا– القصص القرآنى الذى يبدو للوهلة الأولى بعيدا عن قضايا الجندر، وحاولت من خلال تفسير القصص أن تجد بابا جديدا غير مباشر لمناقشة تلك القضايا. ويقدم هذا البحث تحليلا نقديا لثلاث قضايا من قضايا الجندر هى: المساواة الجندرية، والعنف ضد المرأة المبنى على الجندر، والهوية الجندرية. من خلال التفسيرات النسوية لقصص القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية :

النسوية، الجندر، النوع الاجتماعى، المثلية الجنسية، الهوية الجندرية، القصص القرآنى.

Gender issues in feminist interpretations of the stories of the Holy Qur'an An critical study

Dr. Emad Hassan Marzouk
Assistant Professor of Islamic Studies
Faculty of Arts - Al - Menofia University

Abstract:

Feminist thought presented a set of new concepts, the most important of which is the concept of gender, which from the feminist perspective represents the cornerstone towards complete equality of women with men, and what this entails in women obtaining their rights, as it is possible through the concept of gender to eliminate differences based on sex. Between men, women, and homosexuals as well, as differences based in their essence on social and cultural distinctions - and not as natural as they may seem - formed through a long history of male domination that led to the marginalization of women and the deprivation of their rights.There are several feminist trends, including feminism that rejects religion because its teachings and rulings conflict - from the point of view of this trend - with what feminist thought offers in terms of demanding gender rights and women's complete equality with men, as well as giving transgender people their rights in society, and respecting their sexual orientations based on their choice of their gender identity. Even if they are different from the gender they were born into.There is another feminist trend called Islamic feminism that seeks the same demands demanded by feminism that rejects religion. However, it does not believe that religion does not clash with these demands. This trend seeks to remove the conflict between feminist demands by reinterpreting the Holy Qur'an from a feminist perspective so that The Holy Qur'an seems compatible with the feminist vision of gender issues.

Both rejectionist and Islamic feminism have focused, in their treatment of the Holy Qur'an - mostly - on the explicit places in the Holy Qur'an that deal with women's topics, such as verses on marriage, inheritance, wardship, hijab, and so on, but at the same time they have dealt - sometimes - with Qur'anic stories that seem, at first glance, far from Gender issues, and through the interpretation of stories, I tried to find a new, indirect door to discuss these issues. This research provides a critical analysis of three gender issues: gender equality, gender-based violence against women, and gender identity. Through feminist interpretations of the stories of the Holy Qur'an.

Key Words

Feminism, gender , homosexuality, gender identity, Quranic stories.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فلقد تطورت الحركات النسائية Womenism التى كانت تهدف إلى المطالبة بحقوق المرأة بشكل عام، إلى النسوية Feminism التى تطالب بإلغاء أى تمييز بين الرجل والمرأة على أساس الجنس، ولذلك قامت النسوية باستخدام مصطلح الجندر Gender – والذى يكتب أحيانا فى العربية الجنسانية أو الجنوسة[١] – بوصفه مصطلحا يشير إلى (النوع الاجتماعى) فى مقابل مصطلح Sex أو(الجنس) الذى يشير إلى النوع الطبيعى (البيولوجى).

"فالجندر مفهوم يختلف عن الجنس sex باعتباره معطى بيولوجيا، ويعنى

---

[١] – تعرف الأمم المتحدة فى موقعها الإلكترونى الرسمى على شبكة المعلومات الجندر على النحو التالى :"تشير كلمة جنس (Sex) إلى التقسيم البيولوجى بين الأنثى والذكر، أما الجنسانية (Gender) فتحيل إلى مفهوم النوع الاجتماعى أو الأدوار والسلوكيات المحددة اجتماعيا لكل من المرأة والرجل ولا علاقة لها بالاختلافات العضوية، أي الصورة التي ينظر بها المجتمع للمرأة والرجل والخصائص المتعلقة بالنساء والرجال التى تتشكل اجتماعيا وثقافيا. ومصطلح gender كلمة انكليزية من أصل لاتيني genus وتعني الجنس من حيث الذكورة والأنوثة، وتستخدم لتصنيف الأسماء والضمائر والصفات. ولقد ظهر لأول مرة في وثيقة مؤتمر القاهرة للسكان عام ١٩٩٤ وترجم بالذكر/الأنثى أو الذكور/الإناث ثم ظهر مرة ثانية في إعلان ومنهاج عمل بيجين عام ١٩٩٥، وكانت ترجمته تستند إلى لفظ "الجنسين" في تراكيب مختلفة ("العوائق المتصلة بمسألة الجنسين" أو "اعتبارات الجنسين") ثم استقرت ترجمته في وثائق الأمم المتحدة بالجنسانية والصفة منها وهى "جنسانى" حسب السياق، فيقال" منظور جنسانى" و"اعتبارات جنسانية" و "قضايا جنسانية"، وهو مقابل يتميز بمرونة اشتقاقية وإيجاز واستيعاب للمفاهيم المرتبطة بالأدوار التي يحددها المجتمع للنساء والرجال، ولقد استخدم فى هذه المبادئ التوجيهية حرصا على اتساق المصطلح المعتمد فى الأمم المتحدة وعدم تشتته. ولا بد من الإشارة في هذا الصدد إلى أن المقابل "جندر"، المنقول صوتيا عن الإنكليزية، ما زال متداولا بالعربية، ولقد أصبح مقابل آخر هو "النوع الاجتماعى" شائع الاستعمال لدى بعض وكالات الأمم المتحدة ومؤسسات المجتمع المدني والأوساط الأكاديمية. ولعل اختياره يعزى إلى الحرص على التمييز بين الجنس البيولوجى من جهة والجنس من حيث تمييز الوظيفة الاجتماعية للمرأة والرجل والتى لا يتم تعيينها بالخصائص البيولوجية بل بواسطة المعطيات الاجتماعية والقواعد الثقافية ومعاييرها ومحظوراتها." انظر :
https://www.un.org/ar/gender-inclusive-language/guidelines.shtml#collapse1

الأدوار والاختلافات التى تقررها وتبنيها المجتمعات لكل من الرجل والمرأة"[١]. بمعنى آخر فإن "الجنس مسألة بيولوجية والنوع (مثل الأنوثة) تصور اجتماعى"[٢].

وقد رأت النسوية أن المجتمعات الذكورية أو الأبوية (البطريركية Patriarchy)[٣] عملت – لفترات تاريخية طويلة – على تهميش دور المرأة، حيث عمل الرجل على تحديد الأدوار الاجتماعية بناء على الذكورة والأنوثة، مما أدى إلى وقوع الظلم على المرأة لصالح الرجل، وقد لخصت سيمون دو بفوار Simone de Beauvoir ذلك بقولها "لا يولد المرء امرأة، إنه يصبح كذلك"[٤]، وعلى ذلك فإن النسوية ترى أن الأدوار الاجتماعية للرجل والمرأة "يمكن أن تختلف من مجتمع لآخر أو تتغير فى كل حقبة تاريخية"[٥]، ومن ثم فإن النسوية تسعى إلى "تعديل وتغيير أدوار النوع الاجتماعى، وسد الفجوة فى

---

[١] – بنيان الفحولة. أبحاث فى المذكر والمؤنث، د.رجاء بن سلامة، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٥م، ص١١٩

[٢] – النسوية وما بعد النسوية. دراسات ومعجم نقدى، سارة جامبل، ترجمة أحمد الشامى، مراجعة هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٣٥٢

[٣] – تستخدم الكلمات الثلاثة فى الدراسات النسوية بمعنى واحد للإشارة إلى الاتجاهات المنحازة للذكر على حساب الأنثى، فالأبوية " هى نظام اجتماعى وأيديولوجى يعتبر الرجال متفوقين على النساء، نظام يملك فيه الرجال سيطرة أكبر على الموارد وصنع القرارات، وتتشكل الأبوية تاريخيا، وقد يكون شكلها ومحتواها ونطاقها مختلفا باختلاف السياقات والأزمان. ومثل كل النظم المجتمعية، فالأبوية لها أيديولوجيا وبنية تكفلان وضع الرجال رأس العائلات، ووراثة اسم وممتلكات الأسرة، وعلاوة على ذلك فكل المؤسسات المجتمعية يسودها الرجال" [استكشاف العقلية الذكورية، كاملا بهاسين، ترجمة مجدى النعيم، مركز أندلس للدراسات، ط١، ص٢٢. وانظر كذلك : ماهية النظام الأبوى، كاملا بهاسين، ترجمة مجدى النعيم، مركز سالمة، الخرطوم، السودان، ط١، ٢٠٠٧م]

[٤] – الجنس الآخر، سيمون دو بوفوار، ترجمة سحر سعيد، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٥م، ١٣/٢ . وقد أصبح كتابها ذلك، وتلك العبارة تحديدا نقطة انطلاق للعديد من الكتابات النسوية المماثلة على نحو ما نجد فى قول أورزولا شوى "نحن لا نولد بنات أو صبيانا، إنما يجعلون منا هكذا" [انظر: أصل الفروق بين الجنسين، أورزولا شوى، ترجمة بو على ياسين، دار الحوار، سورية اللاذقية، ط٢، ١٩٩٥م، ص١١، والعبارة فى الأصل هى عنوان الكتاب باللغة الألمانية : نحن لا نولد بنات، بل هكذا يصنعون منا]

[٥] – المرأة والجندر. إلغاء التمييز الثقافى والاجتماعى بين الجنسين، د. أميمة أبو بكر و د. شيرين شكرى، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٠٣

التمييز بين المرأة والرجل فى المكانة الاجتماعية وفى دور كل منهما"[١].

وعلى ذلك فالنوع الاجتماعى (الجندر) من المنظور النسوى ينبغى إعادة النظر إليه بوصفه الأساس الحقيقى للعلاقة بين الرجل والمرأة، بحيث تصبح الفروق الجنسية بين البشر مسألة ثانوية، حتى "إن الدراسات الغربية الحديثة تبين أن الجنس نفسه نتيجة بناء ثقافى وتصورات متحولة، بحيث لا يوجد (الجنس) باعتباره معطى بيولوجيا محضا"[٢].

ويعد الجندر محور القضايا النسوية حتى إن أمينة ودود قد دعت إلى (جهاد الجندر) الذى "هو نضال من أجل إرساء العدالة الجندرية فى الفكر الإسلامى والتطبيق العملى. والعدالة الجندرية فى أبسط مستوياتها تعنى تعميم – إدراج المرأة فى جميع جوانب الممارسة الإسلامية"[٣].

وقد اتخذت النسوية من الدين – بناء على قضايا الجندر– مواقف متعددة، فهناك (نسوية رافضة) للدين، ترى أن تعاليم الدين وشريعته ضد العدالة الجندرية، ونصوصه المقدسة – القرآن والسنة – قد كرست لظلم المرأة، وإضعاف مكانتها الثقافية والاجتماعية، وعدم إعطاء المرأة حقوقها فى الوقت الذى أعطت فيه الرجل كل الحقوق، ويرى هذا الاتجاه أن هذه النصوص الدينية نصوص تاريخية، كانت تناسب عصر ظهورها وبيئتها. وهو ما يمثله على سبيل المثال موقف ليلى أحمد حين تقول "وحين جاء الإسلام فى القرن السابع الميلادى، اتخذ شكل الديانات القائمة على الوحدانية مثل اليهودية والمسيحية، بل وفى صورة جديدة لهاتين الديانتين. كانت المنطقة إبان غزوات المسلمين واقعة تحت سيادة الكنيسة المسيحية التى كانت إلى حد كبير قد قننت وبررت التحيز ضد المرأة اعتمادا على قصص الكتاب المقدس، تلك القصص التى اعترف بها الإسلام علانية أو أقرها بصورة غير مباشرة على أنها صادرة

---

[١] – المرأة والجندر، د. أميمة أبو بكر و د. شيرين شكرى ، ص١٠٥

[٢] – بنيان الفحولة، د. رجاء بن سلامة، ص ١١٩

[3] - Inside the gender Jihad . women's reform in Islam, Amina Wadud, Oneworld, Oxford, 2006, p.10

عن الوحى الإلهى. وهكذا استوعب الدين الجديد تلقائيا ذلك التحيز ضد المرأة الذى كان قائما بالفعل فى صورة مقدسة، ليصبح جزءا من عالمه الاجتماعى والدينى الذى ما لبث أن اتخذ بدوره صيغة كتابية مقدسة"[١].

وهناك اتجاه آخر يعرف (بالنسوية الإسلامية) يرى أن الدين نفسه لم يظلم المرأة، وأن النصوص الدينية تخلو من ذلك، لكن ظلم المرأة جاء من خلال تفسيرات ذكورية لتلك النصوص، ومن تجاهل تاريخية القرآن كذلك، ومن هنا لا يرفض هذا الاتجاه النصوص الدينية وإنما يرفض تفسيراتها التقليدية، ومن ثم يطرح تفسيرا جديدا لتلك النصوص، يقدم من خلاله قراءة مغايرة لقراءات المفسرين الذين كانت تفسيراتهم تفسيرات ذكورية. وهو ما يمثله على سبيل المثال موقف أمينة ودود حين تقول " بوصفنا مؤمنات بعقيدة الإسلام فنحن لا نستطيع إعادة كتابة القرآن. إن كلمات القرآن ثابتة لا تتغير بوصفها سجلا تاريخيا لكلمات أنزلها الله على النبى محمد. بالإضافة إلى ذلك فقد كانت تلك الكلمات دائما مصدرا لمعان متعددة وتفسيرات مختلفة. إن الهدف من التفسير هو كشف المعانى التى تعكس جوهر فكرة أن الله المطلق، الذى لا نقدر على معرفته، يريد أن تستخدم الذوات الإنسانية الفاعلة المعانى التى يكتشفونها بطريقة تعكس مبادئ الرسالة على أحسن وجه"[٢].

وتعد التاريخية التى أشارت إليها أمينة ودود أحد أهم المداخل للتفسيرات النسوية والتى تتفق فيها مع النسوية الرافضة للدين، وهى تعنى كما تقول "أن القرآن كان يخاطب مستمعيه الأولين فى سياق الظروف الاجتماعية والتاريخية والثقافية التى نزل فيها"[٣]. ولذلك دعت – مع غيرها من النسويات– إلى "تفسير قرآنى بديل"[٤] يتناسب مع وضع المرأة المسلمة فى العصر الحديث.

---

[١] – المرأة والجنوسة فى الإسلام. الجذور التاريخية لقضية جدلية حديثة، د. ليلى أحمد، ترجمة منى إبراهيم وهالة كمال، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة، ١٩٩٩م، ص٤٣

[٢] – بحث فى القرآن والجنسانية، د. أمينة (آمنة) ودود، ترجمة د.رندة أبو بكر، (ضمن كتاب النسوية والدراسات الدينية)، تحرير د. أميمة أبو بكر، مؤسسة المرأة والذاكرة، ط١، ٢٠١٢م، ص٢٦٦

[٣] – بحث فى القرآن والجنسانية، د. أمينة ودود، ص٢٥٦

[٤] – تفسير قرآنى بديل ووضع المرأة المسلمة، د. أمينة ودود، ترجمة د. إبراهيم يحيى الشهابى (ضمن كتاب دعونا =

وقد عرضت النسوية موقفها إزاء الآيات التى تتعرض بشكل مباشر للأحكام الخاصة بالمرأة كالزواج والميراث والقوامة والحجاب، غير أنها لم تكتف بمناقشة قضايا الجندر فى تلك الآيات، وإنما قدمت رؤيتها كذلك فى مواضع من القرآن الكريم تبدو بعيدة عن قضايا المرأة، فقدمت تفسيرات نسوية للقصص القرآنى وعرضت من خلاله قضايا الجندر، وهو ما يتناوله هذا البحث بالدراسة.

أهمية الموضوع :

لا شك أن الفكر النسوى أصبح اليوم مؤثرا فى العالم كله، خصوصا بعد أن دعمت الأمم المتحدة توجهات النسوية، وقد ظهرت تلك الأفكار النسوية فى العالم الإسلامى بقوة من خلال المؤتمرات المتعددة للأمم المتحدة – ومنها مؤتمر السكان الذى عقدته الأمم المتحدة فى القاهرة عام ١٩٩٤م –، بالإضافة إلى الكتابات المتعددة التى لا يستهان بها فى العمل على إقرار المفاهيم التى طرحتها النسوية، والتى يأتى فى مقدمتها مفهوم الجندر الذى يعد العمود الفقرى لكثير من القضايا المتعلقة بالمرأة كالمساواة مع الرجل، كما يتصل مفهوم الجندر بإقرار الحق فى المثلية الجنسية مما يتصادم مع الدين والأخلاق. لذلك كان من الضرورى الوقوف على تلك القضايا التى تطرح فى واقعنا المعاصر وتحليلها وبيان ما تهدف إليه. ومما يزيد من أهمية الموضوع أن بعض اتجاهات الفكر النسوى اتخذت من تفسيراتها لآيات القرآن الكريم وسيلة لإثبات هذا الفكر، مما يستدعى النظر فى تلك التفسيرات فى ضوء أصول تفسير القرآن وقواعده وأحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها.

نتكلم.مفكرات أمريكيات يفتحن نوافذ الإيمان على عالم متغير)، تحرير د.جيزيلا ويب، مراجعة د. نعمت حافظ البرزنجى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق سوريا، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٣٧

الدراسات السابقة :

تناولت بعض الدراسات النسوية وموقفها من تأويل القرآن الكريم مثل (حركة التأويل النسوى للقرآن والدين وخطرها على البيان العربى وتراثه) لحسن الشافعى[١]، وكذلك (التأويلات النسوية الإسلامية لبعض قضايا الفكر العقدى المعاصر. نماذج مختارة) لسناء حشيفة[٢]، وأيضا (الانحرافات النسوية فى تفسير نصوص القرآن – القوامة أنموذجا) لنوف بنت منصور بن محمد المقرن[٣].

ومن الدراسات التى تناولت مفهوم الجندر فى ضوء الإسلام : (مفهوم الجندر دراسة نقدية فى ضوء الإسلام) لنهى بنت صالح الخليفى[٤]. وأيضا (مفهوم الجندر "النوع الاجتماعى" فى الفكر الإسلامي المعاصر) لريحان حسن عمر إسماعيل[٥]. وأيضا (مفهوم الجندر وآثاره على المجتمعات الإسلامية. دراسة نقدية تحليلية فى ضوء الثقافة الإسلامية) لأمل بنت عائض الرحيلى[٦]. وكذلك (خطاب الجندر فى كتاب بنيان الفحولة لرجاء بن سلامة) لسعيدة شايبى وبثينة أحمان[٧]. ولم تتعرض أى من الدراسات السابقة للتفسيرات النسوية للقصص القرآنى وعلاقتها بقضايا الجندر وهو موضوع هذا البحث.

---

[١] – حركة التأويل النسوى للقرآن والدين وخطرها على البيان العربى وتراثه، د.حسن الشافعى، الأزهر الشريف، هيئة كبار العلماء، ط١، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

[٢] – التأويلات النسوية الإسلامية لبعض قضايا الفكر العقدى المعاصر. نماذج مختارة، سناء حشيفة (رسالة ماجستير) إشراف د.زهير بن كتفى، الجمهورية الجزائرية، جامعة الشهيد حمه لخضر، معهد العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م

[٣] – الانحرافات النسوية فى تفسير نصوص القرآن. القوامة أنموذجا، د.نوف بنت منصور بن محمد المقرن، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين، العدد ٤٢، ص١٧٧١

[٤] – مفهوم الجندر دراسة نقدية فى ضوء الإسلام، نهى بنت صالح الخليفى، (رسالة ماجستير)، إشراف د. هويدا الطويل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم القافة الإسلامية، ١٤٣١هـ

[٥] – مفهوم الجندر (النوع الاجتماعى) فى الفكر الإسلامي المعاصر، ريحان حسن عمر إسماعيل، (رسالة ماجستير)، إشراف د. ليلى على التوم، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، كلية أصول الدين، قسم العقيدة الإسلامية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م

[٦] – مفهوم الجندر وآثاره على المجتمعات الإسلامية. دراسة نقدية تحليلية فى ضوء الثقافة الإسلامية، أمل بنت عائض الرحيلى، باحثات لدراسات المرأة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

[٧] – خطاب الجندر فى كتاب بنيان الفحولة لرجاء بن سلامة، سعيدة شايبى وبثينة أحمان (رسالة ماجستير) إشراف الدكتور يوسف عطية، كلية الآداب واللغات، جامعة الشيخ العربى التبسى، تبسة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، السنة الجامعية ٢٠١٩-٢٠٢٠م

منهج البحث:

يقوم البحث على المنهج التحليلى النقدى الذى يرصد تفسيرات القصص القرآنى ويتتبعها فى الدراسات النسوية المختلفة، ويناقش ما تطرحه من قضايا متعلقة بالجندر من المنظور النسوى، مع بيان مدى توافق تلك التفسيرات مع أصول التفسير، وموقف الإسلام من تلك الأطروحات النسوية وتفسيراتها.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث يتناول كل واحد منها إحدى قضايا الجندر الأساسية فى الفكر النسوى، وتوظيف الفكر النسوى للقصص القرآنى لدعمها، وهى

المبحث الأول : قضية المساواة الجندرية

المبحث الثانى : قضية العنف ضد المرأة المبنى على الجندر

المبحث الثالث : قضية الهوية الجندرية.

المبحث الأول : قضية المساواة الجندرية

المساواة الجندرية تعنى عدم التمييز بين الرجل والمرأة على أساساس الجنس، فالنوع الاجتماعى (الجندر) يجب أن ينظر إليه بطريقة لا تقوم على التفرقة البيولوجية القائمة على الذكورة والأنوثة، ويمكن القول إن الهدف الرئيسى لاستبدال الجندر بالجنس كان من أجل القضاء على التمييز بسبب الجنس وتحقيق المساواة الجندرية التامة بين (النوعين) دون الالتفات إلى الفروقات البيولوجية بين (الجنسين).

و"المساواة فى الحقوق عند منظرى النسوية الأوائل هدف أساسى لتحرير المرأة، يركز على حق الفرد فى السعى لتحقيق الذات دون التقيد بالنوع"[1].

وفى عام ١٩٧٩م اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة (اتفاقية القضاء

[1] – النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، ص ٣٢٨

على جميع أشكال التمييز ضد المرأة) التى عرفت باسم (سيداو) (CEDAW)[١]. ثم نقحت هذه الاتفاقية وأضيف إليها مواد وملاحق فى عام٢٠٠٣م، وجاء فى الاتفاقية: "وفى جوهر مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة أو المساواة بين الجنسين مفهوم أن جميع البشر بغض النظر عن جنسهم، أحرار فى تنمية قدراتهم الشخصية ومزاولة حياة مهنية واتخاذ خيارات لا تتقيد بالقيود التى تفرضها القوالب النمطية وأدوار الجنسين والأحكام المسبقة الجامدة"[٢].

و"فى عام٢٠١٠م صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع لإنشاء هيئة الأمم المتحدة للمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة (UN WOMEN)"[٣].

وقد ترتب على السعى نحو المساواة الجندرية مناقشة عدة قضايا إسلامية قد تبدو من وجهة نظر النسوية "قوالب نمطية" و" أحكاما مسبقة جامدة" – بحسب تعبير اتفاقية سيداو– كمفهوم قوامة الرجل على المرأة، وولاية الرجل على المرأة فى الزواج، وعدم مساواة المرأة بالرجل فى الميراث، والشهادة، وحق العمل، والسفر، والواجبات الزوجية، وغير ذلك من القضايا التى ترى فيها بعض اتجاهات الفكر النسوى أن الشريعة لم تساو فيها بين الرجل والمرأة.

---

[١] – انظر نص الاتفاقية على موقع الأمم المتحدة :
https://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/CEDAW.aspx
وأيضا:
https://documents.un.org/doc/undoc/gen/g10/472/58/pdf/g1047258.pdf?token=GwX4Oh1UAvOTVswUhz&fe=true

[٢] – اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة وبروتوكولها الإضافى، الأمم المتحدة بالاشتراك مع الاتحاد البرلمانى الدولى، ٢٠٢٣م، ص١٥

[٣] – معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة، د. نهى بنت عدنان القاطرجى، مركز باحثات لدراسات المرأة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص٢٥٢. انظر الموقع الرسمي للهيئة :
https://www.unwomen.org/en

وقد رأت بعض الاتجاهات النسوية أن القرآن ينص " فى مواقع كثيرة على أن الله يدعو الرجال والنساء على قدم المساواة إلى البر والصلاح وأنهم سوف يثابون على ذلك"[١]، ولذلك فقد سعت تلك الاتجاهات النسوية إلى تقديم تفسير للقرآن الكريم، يتوافق مع الدعوة إلى المساواة.

تقول نعمت برزنجى "إحدى مهماتى بسبب ظهور دراسات المساواة بين الجنسين متصارعة مع الإسلام نتيجة إظهار الإسلام كدين ذكورى، وإظهار المساواة بين الجنسين مناهضة للإسلام فى قيمه، هى بيان أن أسس التفكير فى المساواة بين الجنسين متضمنة فى المفهوم القرآنى للعدالة كما جاء فيما عهده القرآن وجسده فى مفهوم الإنسان الوصى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة :٣٠]"[٢].

ولم يقتصر هذا التفسير النسوى – كما هو واضح من استشهاد نعمت برزنجى السابق بالآية الكريمة – على الآيات القرآنية التى تتناول قضية المساواة تناولا مباشرا، ولكنه عرض كذلك لنصوص القصص القرآنى، وقصة – آدم عليه السلام – فى القرآن الكريم على رأس تلك القصص .

كانت قصة بدء الخلق فى القرآن الكريم مثار وقفات متعددة للدراسات النسوية، ناقشت من خلالها قضية المساواة، وكانت سيمون دو بوفوار قد تناولت قصة الخلق فى التراث الكتابى، وأشارت إلى أن البعض يقول عن المرأة " إنها مخلوق ثانوى، بالطبع بما أنها خلقت بعد آدم"[٣].

---

[١] – النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية، د. رفعت حسن (حسان)، ترجمة د. رندة أبو بكر، (ضمن كتاب النسوية والدراسات الدينية – مرجع سابق)، ص٢٢٦

[٢] – التعلم الإسلامى السامى للمرأة المسلمة بوصفه حقا إنسانيا: النظرية والتطبيق، نعمت حافظ برزنجى، ترجمة د. إبراهيم يحيى الشهابى، (ضمن كتاب دعونا نتكلم – مرجع سابق)، ص ٧٣

[٣] – الجنس الآخر، سيمون دو بوفوار، ٢٦/١

وقد حللت سيمون دو بوفوار قصة الخلق بوصفها أسطورة تكرس لسلطة الذكور، فتقول " تعبر كل أساطير الخلق عن هذه القناعة التى تهم الذكور ومن بينها أسطورة التكوين، التى استمرت في الحضارة الغربية عبر المسيحية. لم تشكل حواء فى الوقت نفسه مع الرجل؛ لم تصنع من مادة مختلفة، ولا من نفس الطين الذى صنع منه آدم، بل سحبت من ضلع الذكر الأول. حتى ولادتها لم تكن مستقلة؛ لم يختر الله تلقائيا أن يخلقها من أجل ذاتها، وكى تعبده بالمقابل، كرسها للرجل، أعطاها لآدم كى ينقذه من وحدته، فأصلها وغايتها زوجها؛ هى تكمله بشكل غير الأساس. وهكذا تبدو غنيمة مميزة. إنها الطبيعة التى ارتقت إلى شفافية الشعور، إنها وعى خاضع بشكل طبيعى. وهذا هو الأمل الرائع الذي طالما وضعه الرجل في المرأة. إنه يأمل أن يكتمل ككائن بامتلاك كائن آخر جسديا، مؤكدا ذاته ضمن حريته عبر حرية مطيعة. لن يقبل أى رجل أن يكون امرأة، لكن الجميع يتمنون وجود النساء. «لنشكر الله لأنه خلق المرأة». «الطبيعة طيبة بما أنها أعطت الرجال المرأة». فى هذه الجمل وجمل أخرى مماثلة، يؤكد الرجل مرة أخرى بسذاجة متعجرفة أن وجوده في هذا العالم هو أمر محتم وحق، ووجود المرأة حادث بسيط، ولكنه حادث سعيد"[١].

ولقد ساهمت رؤية سيمون دو بوفوار النسوية لقصة بدء الخلق فى الكتاب المقدس فى تشكيل آراء تيار نسوى يستنسخ أفكارها ويعيد طرحها باختلافات يسيرة، ويحاول أن يطبقها على قصة بدء الخلق فى القرآن الكريم، فنوال السعداوى تسمى قصة الخلق "أسطورة حواء وآدم"، وتجعلها نقطة البدء للهيمنة الذكورية على المرأة حيث "استمر الرجل فعلا على مدى العصور منذ بدء

[١] – الجنس الآخر، سيمون دو بوفوار، ١٨٧/١

أسطورة حواء وآدم يمارس الشر والعدوان"[١].

وهذه الأسطورة – من وجهة نظر نوال السعداوى– من اختراع الرجل لبسط سيطرته على المرأة حيث "كان لابد للرجل الإقطاعى من فلسفة وقيم أخلاقية معينة يدعم بها قيمه الاقتصادية والإقطاعية والاستغلالية. وحينما أدرك الرجل أن المرأة بالطبيعة أقدر منه على خلق الحياة الجديدة، وأن هذه القدرة أعطتها مكانة عالية فى المجتمع، قال لنفسه : ولماذا لا أدعى لنفسى هذه القدرة رغم أنف الطبيعة ؟! وجلس آدم بينه وبين نفسه وكان فنانا وقادراً على خلق القصص والروايات ثم خرج الى العالم بقصة آدم وحواء الشهيرة فى التاريخ. وفى هذه القصة سلب آدم من حواء قدرتها على الولادة وخلق الحياة الجديدة، وأعطى نفسه هذه القدرة، قائلا إنه هو الذى ولد حواء، وأنها جاءت من أحد ضلوعه، لم يستطع آدم فى ذلك الوقت أن يخدع الناس بيولوجيا أيضا ويقول إنها جاءت من رحمه لأن الناس كانت تعرف أن الذكور ليست لهم أرحام"[٢].

وترى رجاء بن سلامة أيضا أن قصة بدء الخلق "أسطورة اختلاف جندرى"[٣]، وتجعلها مظهرا لمبدأ عدم مساواة المرأة بالرجل فتقول " نجد حطا صريحا من شأن الأمومة والأنثوى فى الآيات التى تعلن أفضلية الرجل على المرأة ومنها ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٨]. ولهذه الأفضلية مظاهر عدة فهى أفضلية أنتولوجية[٤] تعود إلى الصيغة الثنائية لعملية الخلق الإلهى، فالله إذ خلق (الذكر والأنثى) خلق الذكر قبل الأنثى، أو خلق الأنثى من الذكر، بما أن حواء قد

---

[١] – الرجل والجنس، د. نوال السعداوى، (ضمن كتاب دراسات عن المرأة والرجل فى المجتمع العربى)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م، ص٣٥٢

[٢] – الأنثى هى الأصل، د.نوال السعداوى، (ضمن كتاب دراسات عن المرأة والرجل فى المجتمع العربى)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م، ص ١٥٩

[٣] – بنيان الفحولة، د.رجاء بن سلامة، ص ٣٤

[٤] – وجودية Ontology أى بسبب طبيعة وجودها المتأخر عن وجود الرجل والمعتمد عليه.

أخرجت من جسد آدم حسب الأسطورة الكتابية والقرآنية"[١].

وإذا كانت نوال السعداوى ورجاء بن سلامة ترفضان القصة وتنكران صحتها فإن فريقا آخر من التيار النسوى لم ينكر صحة القصة، وإنما أنكر ما علق بها من تفسيرات خاطئة كرست للسلطة الذكورية – من وجهة النظر النسوية –، وحاول أن يقدم تفسيرا نسويا جديدا.

ترى رفعت حسن أن تفسيرات القصة التقليدية كانت ذات أثر فى إلغاء مساواة المرأة بالرجل حيث "بدأت قضية إخضاع النساء فى تراث الدين الإسلامى (كما فى التراثين اليهودى والمسيحى) بقصة خلق حواء"[٢].

وتفسر رفعت حسن ذلك بقولها " يعتقد المسلم العادى بجدية، كما يعتقد اليهودى أو المسيحى العادى، أن آدم كان أول خلق الله، وأن حواء خلقت من ضلعه"[٣]. وترى رفعت حسن أن هذا الاعتقاد أفضى إلى عدم مساواة المرأة بالرجل لأن خلقها جاء تاليا لخلقه فضلا عن كونها قد خلقت من ضلعه، فوجودها نابع من وجوده.

لكن رفعت حسن ترى أن هذا الاعتقاد غير صحيح، وليس له أصل فى القرآن الكريم "وإذا كانت هذه الأسطورة متجذرة بشكل واضح فى رواية يهوه للخلق فى سفر التكوين (٢: ١٨–٢٤) فإنه ليس لها أى أساس فى القرآن الذى يصف خلق الإنسانية بعبارات مساواتية تماما"[٤].

فالقرآن – كما ترى رفعت حسن– " يستخدم بإنصاف كلا من التعابير

---

[١] – بنيان الفحولة، د.رجاء بن سلامة، ص٣٠

[٢] – النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية، د. رفعت حسن (حسان)، (ضمن كتاب النسوية والدراسات الدينية – مرجع سابق)، ص٢٢٢

[٣] – الإسلام وحقوق النساء، د. رفعت حسان (حسن)، ترجمة جهان الجندى، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط١، ١٩٩٨م، ص١٧

[٤] – الإسلام وحقوق النساء، د. رفعت حسان، ص١٧

الأنثوية والذكرية، بالإضافة إلى اللغة المجازية ليصف خلق الإنسانية من مصدر منفرد كون خلق الله الأصلى كان الإنسانية دون تمييز، وليس رجلا أو امرأة [اللذين ظهرا معا فى وقت لاحق]"[1]. وهى تقصد بذلك أن القرآن يشير إلى بداية الخلق بكلمات لا تظهر فيها الذكورة أو الأنوثة ككلمة (بشر) كما فى قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٨]، وكلمة (إنسان) على نحو ما جاء فى قوله تعالى ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة:٧].

وما لاحظته رفعت حسن من استخدام القرآن لكلمات مساواتية فى القرآن فى الإشارة إلى أول المخلوقات لا ينفى أن القرآن فى مواضع أخرى قد ذكر أن هذا الإنسان أو البشر كان ذكرا، وعلى سبيل المثال فإن قوله تعالى ﴿ قَالَ يَا آَدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة:٣٣] يشير إلى آدم بصيغة المذكر لا المؤنث. ولما كان آدم – عليه السلام – هو أول المخلوقات، كما يظهر فى مواضع عدة من القرآن الكريم فيكون بذلك الذكر مخلوقا قبل الأنثى.

ودفعا لهذا الاعتراض رأت رفعت حسن أن عليها أن تقدم تفسيرا بديلا عن تفسيرات المفسرين الذكورية لتلك الآيات التى تحيل على ذكورة آدم – عليه السلام– وما يلزم منه من كون الخلق قد بدأ بالذكر وليس بالأنثى، فذهبت إلى أن (آدم) ليس مقصودا به الرجل فى أغلب المواضع وإنما هو رمز للإنسانية، فتقول " فى الفقرات الثلاثين أو أكثر التى تخص موضوع خلق الإنسان يستخدم القرآن تعابير شاملة عامة للإنسانية [الناس– الإنسان– البشر] وليس هناك أى

[1] – الإسلام وحقوق النساء، د. رفعت حسان، ص ١٨

ذكر لحواء[1]، وتظهر كلمة (آدم) خمسا وعشرين مرة فى القرآن لكنها استعملت إحدى وعشرين مرة كرمز للإنسانية الواعية بذاتها"[2] فكلمة (آدم) – كما ترى رفعت حسن – لا تشير "فى القرآن إلى كائن إنسانى معين بل تشير إلى الكائنات الإنسانية بطريقة خاصة"[3]. وعلى ذلك فلا يوجد موضع فى قصة الخلق "يمكن تفسيره على أنه تأكيد أو تلميح بأن الرجل قد خلق قبل المرأة أو بأن المرأة خلقت من الرجل"[4].

إن تفسير كلمة (آدم) تفسيرا رمزيا على النحو الذى يجعل المقصود منه الإنسانية بوجه عام ليس له ما يؤيده من اللغة ولا من القرآن الكريم، فلا يعرف فى اللغة أن آدم تأتى بمعنى الإنسانية وليس هناك قرينة تجيز حمل الكلمة على معنى رمزى، وكذلك فإن نصوص القرآن الكريم لا يفهم منها هذا المعنى الرمزى، بل يفهم منها أنه اسم علم للخليفة الذى قال عنه الله عز وجل للملائكة ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، بل إن من المعلوم فى العقيدة الإسلامية أن آدم – عليه السلام– أحد الأنبياء الذين يجب الإيمان بهم.

---

[1] – كان محمد أحمد خلف الله قد لاحظ أن قصة الخلق لم تذكر اسم (حواء)، وقد أرجع خلف الله ذلك إلى تأثير البيئة العربية التى كانت تقاليدها تلتزم بعدم ذكر اسم المرأة [انظر: الفن القصصى فى القرآن، محمد أحمد خلف الله، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط٤، ١٩٧٢م، ص٣١٧]

[2] – الإسلام وحقوق النساء، د. رفعت حسان، ص١٧ ، ١٨

[3] – الإسلام وحقوق النساء، د.رفعت حسان، ص١٧، ويبدو أن فكرة نفى أن يكون (آدم) اسم علم للرجل الذى خلقه الله عز وجل كانت قد طرحت فى الدراسات المتعلقة بقصة الخلق فى الكتاب المقدس على ما يبدو من تعليق ليونارد سويندلر Leonard Swindler الذى أوردته المترجمة ونصه " من الخطأ ترجمة الاسم (ha adam) في سفر التكوين (١: ٢٢) إلى كلمة (رجل) بالمعنى المذكر أو إلى اسم العلم (آدم) ... تظل أداة التعريف (ha) تستخدم ملاصقة لكلمة آدم حتى نصل إلى سفر التكوين (٤: ٢٥)، مما ينفى أى احتمال أن تكون الكلمة مستخدمة بوصفها اسم علم. وتصبح الكلمة اسم علم فى (٤: ٢٥)، إذ ترد (آدم) دون أداة التعريف. علاوة على ذلك من الواضح أنها اسم مفرد يدل على جمع فى سفر التكوين (١: ٢٢)، كما يتضح من استخدام صيغة الجمع فى (فيتسلطون) (سفر التكوين ٢٢:١) " [انظر النسوية والدراسات الدينية، ص ٢٣٤]

[4] – النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية، د. رفعت حسن، ص ٢٢٠

ولم يكتف التأويل النسوى لرفعت حسن بنفى تقدم خلق الذكر على الأنثى بل رأى فى خطوة جديدة أن من الممكن تقديم تفسير مغاير يثبت أن الأنثى سبقت فى الخلق الذكر.

فتتوقف رفعت حسن عند قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١]. لترى أن (النفس) هى حواء وأن (زوجها) هو آدم – عليه السلام – مما يثبت أسبقية المرأة فى الخلق، وأنها هى الأصل، والرجل فرع منها. تقول رفعت حسن "يمكننا تفسير بعض المواضع من الوجهة اللغوية أو الصرفية الخالصة، على أن الخلق الأول (النفس الواحدة) كانت مؤنثة وليست مذكرة"[١].

وتشرح رفعت حسن فى موضع آخر هذه الفكرة فتقول " ترد فى الآيات السابقة (كما فى الآية ٩٨ من سورة الأنعام والآية ٢٨ من سورة لقمان إشارات إلى خلق البشر كافة من مصدر واحد أو نفس واحدة. ويكاد كافة المسلمين يعتقدون أن هذا المصدر أو الكائن الأولى الذى تشير إليه تلك الآية هو رجل اسمه آدم. وقد جعل هذا الاعتقاد الكثير من مترجمى القرآن يخطئون في ترجمة آيات قرآنية بسيطة. على سبيل المثال لو ترجمت الآية ١ من سورة النساء ترجمة صحيحة فسوف يحتفظ المترجم بالجمع فى (خلقكم) وبالتأنيث فى عبارات (نفس واحدة) و(زوجها). ولكننا نجد معظم المترجمين يجعلون ضمير الملكية المؤنث (ها) مذكرا. كيف يتأتى مثل ذلك الخطأ؟ هل يمكن القول بأن الأفكار المسبقة والتوجهات النفسية لهؤلاء الذين قاموا بتفسير القرآن، والذين تصادف أنهم كانوا جميعا من الرجال، قد جعلتهم عاجزين تماما عن تصور أن أول مخلوق لم يكن ذكرا ؟ أم أنهم يخشون أن توحى الترجمة الصحيحة لضمير

---

[١] – النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية، د. رفعت حسن، ص٢٢٠، وانظر كذلك النص الذى أوردته المترجمة لمحاضرة رفعت حسان فى أمستردام [انظر ، الإسلام وحقوق النساء، د. رفعت حسان، ص ١٨]

الملكية المؤنث (ها) ولو للحظة بأن المرأة وليس الرجل قد كانت الخلق الأول، وبذلك تكون أرفع مكانة، لو أننا اعتبرنا أن الأسبقية في الخلق تخلع على صاحبها مكانة أرفع، وأن الرجل هو الذى خلق من المرأة وليس العكس، وهو الأمر الذى سوف يمنح حواء تفوقا ارتبط تقليديا بآدم لو أننا عكسنا قصة خلق حواء من ضلع"[١].

وتتفق أسماء المرابط مع رفعت حسن على حمل معنى زوج فى القرآن على المرأة بل تذهب إلى أنه "لا يوجد فى القرآن الكريم أى كلام واضح الدلالة على أن آدم الذى هو أصل المخلوقات البشرية كان ذكرا"[٢].

وتقول كذلك فرح الفاضلى " أما قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١] فليس فى النص ما يشير إلى أن النفس ذكر والزوج أنثى ولا العكس، وأى تفسير يحاول بيان ذلك فهو يعتمد على قضايا خارج نص الآية هذه"[٣].

وغنى عن البيان أن لفظ النفس وإن كان يشار إليه فى اللغة بالتأنيث فإنه لا يدل بالضرورة على الأنثى كما استدلت رفعت حسن، فالرجل نفس والأنثى نفس أيضا، وكذلك فإن لفظ الزوج فى اللغة يشار به إلى الرجل والمرأة على حد سواء. ويصبح الفيصل فى تحديد المقصود بالنفس والزوج فى الآية الكريمة هو القرآن نفسه – كما تطالب به فرح الفاضلى– الذى يفسر بعضه بعضا، فنجد – على سبيل المثال– الخطاب لآدم الذكر واضحا فى قوله تعالى ﴿وَقُلْنَا

---

[١] – النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية، د. رفعت حسن، ص٢٣٤

[٢] – القرآن والنساء. قراءة للتحرر، أسماء المرابط، ترجمة محمد الفران، مركز الدراسات والبحوث فى القضايا النسائية فى الإسلام، الرباط، ٢٠١٠م، ص٢٠

[٣] – الذكورة والأنوثة فى القرآن الكريم، د.فرح الفاضلى، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠١٨م، ص٢٤٩

يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]. فإذا كان القرآن الكريم قد أشار فى مواضع متعددة إلى أن أول من خلقه من البشر هو آدم – عليه السلام– كما فى قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:٣٠-٣١] فإن ذلك يعنى أن الذكر (آدم) – عليه السلام – كان سابقا فى الخلق على الأنثى (حواء)، وعلى ذلك فسيكون المقصود من تلك النفس الواحدة التى خلق منها البشر هى نفس آدم عليه السلام.

وحتى لو كان المقصود من خلق الذكر والأنثى من نفس واحدة أنهما خلقا من نوع واحد هو النوع البشرى – كما ذهب إلى ذلك محمد عبده[١]–، فإن هذا التفسير للآية لا يستطيع أن ينفى أسبقية خلق آدم الذكر على الأنثى كما هو ظاهر من مجمل القصة فى القرآن الكريم.

والقرآن الكريم فيه ما يدل على أن النفس الواحدة التى خلق منها البشر كانت سابقة فى الخلق على خلق زوجها وهو قوله تعالى ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر:٦]، فكلمة (ثم) فى الآية الكريمة تدل على تأخر خلق (الزوج) عن خلق (النفس الواحدة)، ومن الملاحظ أن الكتابات النسوية التى ناقشت خلق الزوجين – الذكر والأنثى – فى ضوء الآية الأولى من سورة النساء لم تتوقف مطلقا عند هذه الآية، بل إن أسما بارلاس Asma Barlas أرادت أن تعرض الآيات المتعددة التى ورد فيها الحديث عن (النفس) و(الزوج) فى القرآن الكريم لتثبت أن تلك الآيات "تؤكد التشابه الأساسى وليس

---

[١] – انظر تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٩م، ٢٦٥/٤ ، وقد استشهدت به أسماء المرابط [انظر القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٢١]

الاختلافات بين الرجال والنساء"[1] فذكرت عشر آيات بالإضافة إلى الآية الأولى من سورة النساء، وتجاهلت تماما الآية السادسة سورة الزمر![2]

وقد ناقشت رفعت حسن أحاديث خلق حواء من ضلع، ورأت أنها قد أدت إلى الاعتقاد بتبعية المرأة للرجل، وذهبت إلى أنها "أحاديث ضعيفة سواء من حيث الإسناد أو من حيث المتن أو المحتوى"[3]. والأحاديث وردت فى الصحاح فقد أخرج البخارى منها:

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "المرأة كالضلع، إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج"[4].

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شىء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرا"[5].

وأخرج مسلم منها:

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن المرأة خلقت من ضلع. لن تستقيم لك على طريقة. فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج.

---

[1] - Believing Women in Islam. Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an, Asma Barlas, university of texas press, Astin,United States of America, 2002, p.158

[2] - Believing Women in Islam, Asma Barlas, p.158 -159

[3] – النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية، د. رفعت حسن، ص٣٢١

[4] – صحيح البخارى، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى الجعفى، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، ط٥، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م، كتاب النكاح، باب: المداراة مع النساء، وقول النبى ﷺ: (إنما المرأة كالضلع)، حديث رقم ٤٨٨٩

[5] – صحيح البخارى، كتاب النكاح ، باب: الوصاة بالنساء، حديث رقم ٤٨٩٠

وإن ذهبت تقيمها كسرتها. وكسرها طلاقها"[1].

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فإذا شهد أمرا فليتكلم بخير أو ليسكت. واستوصوا بالنساء. فإن المرأة خلقت من ضلع. وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه. إن ذهبت تقيمه كسرته. وإن تركته لم يزل أعوج. استوصوا بالنساء خيرا"[2].

وقد أقرت أسماء المرابط بصحة الأحاديث لكنها اتجهت إلى شرحها بطريقة تصرفها عن معناها الظاهر إلى معنى مجازى فتقول " إن الحديث المذكور قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فى إطار الوعظ والإرشاد الذى ظل عليه الصلاة والسلام يوجهه إلى أصحابه حتى فى خطبة الوداع التى أوصى فيها الرجال بحسن معاملة النساء. وفى نهاية الحديث يأتى الأمر الموجه إلى جميع المؤمنين: أوصيكم بالنساء خيرا. إن لفظ الضلع – وهنا الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتكلم عن ضلع آدم– استعمل استعمالا استعاريا وهو استخدام تم اللجوء إليه فى إطار المجاز اللغوى الذى كان محمودا ومرغوبا فى سياق الأعراف الكلامية العربية فى ذلك الوقت، والغرض الأساسى من كل ذلك هو حث الرجال على حسن معاملة النساء واللطف معهن والرفق بهن. وعلى حد ما ذهب إليه بعض المفكرين المسلمين المعاصرين فإن هذه الأحاديث لم ترد عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى سياق توضيح البعد البيولوجى للخلق البشرى، بل كان الغرض الأساسى منها هو تغيير التقاليد والممارسات الذكورية السائدة لكن بمنهجية قرآنية بيداغوجية[3] وتربوية صرف"[4].

---

[1] – صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥م، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم ١٤٦٨

[2] – مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم ١٤٦٨

[3] – المراد علم التربية Pedagogy

[4] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٢٤،٢٥

إن صرف المعنى عن ظاهره وحمله على معان مجازية لا يصح إلا بقرينة،وما ذكرته أسماء المرابط من كون الحديث عن خلق المرأة جاء فى سياق الحديث عن الوصية بالنساء،وأن استخدام المجاز كان محمودا فى سياق الأعراف الكلامية العربية لا يرتقى إلى أن يكون قرينة قطعية تصرف اللفظ عن ظاهره.

لكن أسماء المرابط تخلص إلى أن" كل التأويلات التى تعتمد على هذه الأحاديث للاحتجاج والاستدلال على أن المرأة جاء خلقها ثانيا بعد الرجل، وأن مرتبتها بالتالى دون مرتبة الرجل، لكونها قد خلقت من ضلعه، لا تسير فى اتجاه المعنى الصحيح، بل تأخذ منحى يتنافى كلية مع الأحكام الكبرى للذكر القرآنى، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا. إن هذا النوع من الدعاوى والمزاعم يرجع إلى إرث إنسانى كبير ظل ينظر بدونية وتنقيص لمكانة المرأة فى المجتمع، وهذا الإرث متجذر وراسخ ويبحث دوما لنفسه – وما زال – وليس فى ثقافة واحدة بعينها بل فى ثقافات متعددة ومختلفة عن أدلة وحجج يبرر بها منطق الاضطهاد والإخضاع الذى يريد أن تعيشه المرأة على الدوام"[١].

وتتناول عزيزة الحبرى قضية المساواة الجندرية من خلال جانب آخر من قصة بدء الخلق فى القرآن الكريم، وهو جانب رفض إبليس السجود لآدم – عليه السلام –، فتذكر أنه – انطلاقا من الشواهد القرآنية – "لا يفضل رجل على امرأة لمجرد كونه ذكراً، ويؤكد القرآن الكريم على هذا الموضوع من خلال قصة طرد الشيطان. فقد طرد الشيطان من رحمة الله لرفضه السجود لآدم خلافاً لأمر الله تعالى. ولقد رفض الشيطان السجود نتيجة تكبره. فقد رأى الشيطان نفسه أفضل من آدم – عليه السلام– لأنه خلق من نار وخلق آدم من طين، وسيشار إلى هذه المحاكمة المتعجرفة فيما يأتى على أنها (منطق شيطانى).

---

[١] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص ٢٥، ٢٦

إن أساس اعتداد الشيطان بنفسه جاء نتيجة نظرة شخصية وسلطوية صنفت النار على أنها أفضل من الطين، ولقد ارتكب الشيطان بتبنيه هذه النظرة السلطوية وتشعباتها حتى أمام الأمر الإلهى المباشر خطيئة رئيسية ألا وهى الشرك. والشرك ضد التوحيد وهو يحصل عندما ينظر المرء فى مشيئة غير مشيئة الله، وفى هذه الحالة كانت مشيئة الشيطان معادلة أو متفوقة على مشيئة الله سبحانه. وهكذا وقع الشيطان في الشرك نتيجة تكبره"[١].

وترى عزيزة الحبرى أن المجتمعات الذكورية تبنت هذا المنطق الشيطانى حينما عملت على عدم مساواة المرأة بالرجل، وبناء على هذه النظرة الذكورية الأبوية فسرت الآيات التى تتناول العلاقة بين الرجل والمرأة بطريقة خاطئة تقول عزيزة الحبرى " بسبب عدم إدراك المشرعين المسلمين حقيقة أن المنطق الشيطانى إنما يعزز النظام الأبوى، فإنهم (كمجتمعاتهم) يبتغون المقولة الأبوية المركزية، أى فكرة تفوق الذكور على الإناث. ولقد شوهت هذه الفرضية الأبوية فهمهم للنصوص القرآنية وقادتهم إلى صياغة قوانين أبوية جائرة. وغدت هذه القوانين الأبوية بعدئذ أساس قوانين الدولة التى اضطهدت المرأة لعدة قرون. وهكذا فإن اضطهاد المرأة جاء نتيجة المنطق الشيطانى الذى تسلل إلى قوانين المسلمين فشوه المعتقدات الإسلامية. ولهذا السبب فإننى أجد أن التفسيرات أو الاجتهادات الأبوية غير مقبولة حيث إنها تعتمد المنطق الشيطانى وتتضارب مع التوحيد. كما أنى أرى أن هذه الاجتهادات جاءت مرتبطة بالزمان والمكان (تاريخياً وثقافيا)، وبالتالى فإن من الضرورى إعادة النظر فيها فى ضوء التغير فى الوعى الإنسانى الذى حدث منذ ذلك الحين"[٢].

---

[١] – مدخل إلى حقوق المرأة المسلمة، د. عزيزة الحبرى (ضمن كتاب دعونا نتكلم – مرجع سابق)، ص ١٠١

[٢] – مدخل إلى حقوق المرأة المسلمة، د. عزيزة الحبرى (ضمن كتاب دعونا نتكلم –مرجع سابق)، ص ١٠٢

وقد اكتفت عزيزة الحبرى بتعميم اتهام (المشرعين المسلمين) بأنهم تبنوا المنطق الشيطانى مما تسبب فى الانتقاص من شأن المرأة لعدة قرون، دون أن تعين المشرعين الذين تقصدهم، ودون أن توضح كيف تبنوا هذا المنطق الشيطانى من خلال تشريعاتهم، لكن الذى صرحت به هو اتهام تلك المجتمعات الذكورية ومن فيها من المشرعين بالشرك لأنهم تبنوا المنطق الشيطانى فظلموا المرأة، وهذا الاتهام المطلق بالشرك هو لون من ألوان التطرف الفكرى الذى يضارع – من أحد جوانبه – التطرف الفكرى عند بعض الجماعات الإسلامية التى ترمى مخالفيها بالشرك والكفر لمخالفة ما تتبناه من آراء.

وتشير رفعت حسن فى إطار تناولها لقصة بدء الخلق إلى أن بعض المفسرين لقوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الروم:٢١] قد ذهبوا إلى أن خلق المرأة إنما كان لأجل الرجل بدلالة قوله عز وجل ﴿لَكُمْ﴾، – ولعل هذا التفسير هو أحد مصاديق المنطق الشيطانى الذى ذكرته – عزيزة الحبرى – وتؤكد رفعت حسن على أن القرآن الكريم ينص على أن المرأة لم تخلق من أجل الرجل وإنما خلقت المرأة والرجل من أجل الحق كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥][1].

وتحدد أسماء المرابط بعض هؤلاء المفسرين فتقول "ويعتبر الإمام الرازى العالم والمفسر المعروف أن القرآن من خلال بعض الآيات من نحو ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١]. يؤكد على أن النساء خلقن أصلا لتلبية حاجيات الرجال. يقول إن الآية السابقة الذكر تقوم (دليلا على أن النساء

[1] – انظر الإسلام وحقوق النساء، د. رفعت حسان، ص ٢٦ وما بعدها

خلقن كخلق الدواب والنبات وغير ذلك من المنافع كما قال تعالى ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهذا يقضى أن لا تكون مخلوقة للعبادة والتكليف فنقول خلق النساء من النعم علينا، وخلقهن لنا، وتكليفهن لإتمام النعمة علينا لتوجيه التكليف نحوهن مثل توجيهه إلينا .. وأما المعنى فلأن المرأة ضعيفة الخلق سخيفة فشابهت الصبى)"[1].

وتتفق أسماء المرابط مع رفعت حسن فى إنكار موقف المفسرين من قصة الخلق لاسيما هذه الآية فتقول "فإذا كانت المرأة قد خلقت من الرجل ولأجله فهذا يؤكد إذن على دونيتها البنيوية كما يؤكد على ضرورة خضوعها له على الدوام. إن هذا النوع من الأحكام شكل محورا مطردا يتكرر باستمرار فى الخطاب الدينى التقليدى، حيث يخلص فى النهاية إلى رسم حدود الإطار الإيديولوجى الذى من خلاله يتم التشريح للمكانة الدونية للمرأة بالاعتماد على هذا النوع من القراءات للنص الكريم.

إنه لمن المؤسف أن نرى إلى أى حد تأثر هؤلاء العلماء تأثرا سلبيا بالسياق السوسيو[2] ثقافى وكذا ببعض التقاليد الدينية القديمة، وراحوا يزكون من خلال تفاسيرهم المتعددة كل الأدبيات التى تنتقص من شأن المرأة ومكانتها وتبرر بشتى الوسائل الرأى الذى مفاده أن الإسلام جعل الرجل هو القيم على المرأة. ومن هذا المنطلق نفهم السبب الذى جعل الذين يقدمون الأدلة والحجج الدينية التى تشرح دونية المرأة بالنسبة للرجل، ويعلون من شأن هذا النوع من المصادر فى تفسير الآيات القرآنية، إلى أن صارت هذه التأويلات والتفسيرات مع مر السنين وكأنها جزء لا يتجزأ من النظام العقدى الدينى الإسلامى، بل أصبح

---

[1] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص ٢٦، والنص فى التفسير الكبير للرازى بتصرف [انظر مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨١، ٩١/٢٥

[2] – الاجتماعى ، علم الاجتماع Sociology

القرآن نفسه لا يحتل إلا مرتبة ثانوية بالمقارنة مع هذا النظام الدوغمائى"[1].

إن هذا الربط بين قصة بدء الخلق ودونية المرأة وعدم مساواتها بالرجل هو من إنتاج الفكر النسوى، وليس له أى وجود من جهة القرآن أو من جهة العقل أو من جهة الواقع.

أما من جهة القرآن الكريم فإن القصة لم تذكر أى انتقاص من شأن المرأة أو دونيتها كنتيجة لأحداث القصة وإنما رتبت القصة على ما ذكرته من أحداث التحذير من عداوة الشيطان لبنى آدم جميعا رجالا ونساء، وهذا هو مقصد القصة فى القرآن الكريم، بل المقصد من تجربة آدم – عليه السلام– وزوجه فى الجنة، فالله عز وجل لم يخلقهما من البداية ليكونا فى الجنة، وإنما خلقهما ليكونا فى الأرض وهذا ما يرشد إليه قول تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]. وعلى ذلك فما مر به آدم وزوجه فى الجنة كان لأجل أن يدركا وذريتهما عدوهم الذى سيكون معهم فى الأرض ليجتنبوه، ولذلك جاء التحذير لبنى آدم عقب ذكر القصة ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٦]، فأين هذا المقصد القرآنى مما تسعى إليه تفسيرات القصة من المنظور النسوى؟!

وأما من جهة العقل فإن تقدم خلق نوع على نوع لا يستلزم عقلا أفضلية المتقدم ولا دونية المتأخر، كما أن خلق المرأة من الرجل لا يعنى من جهة العقل تبعيتها له.

وأما من جهة الواقع فإن وضعية المرأة ومساواتها بالرجل أو دونيتها لا علاقة له فى الواقع بقصة الخلق، فالرجل الذى ينظر إلى المرأة بدونية وعدم مساواة لا ينظر إليها بهذه الطريقة لأنه يعتقد أنها خلقت منه أو لأن خلقها كان تاليا لخلقه! ولو سلمنا – جدلا– بهذا فإن التفسيرات النسوية – بنفس المنطق

---

[1] – القرآن والنساء ، أسماء المرابط، ص٢٦،٢٧ ، والمراد بالدغمائى الوثوقية والجمود الفكرى Dogmatism

السابق– حين تقدم خلق المرأة على الرجل فإنها تنظر إلى الرجل بدونية وتكرس لظلمه !

وإن مشكلات المرأة فى الواقع لن تحل بإعادة تفسير قصة الخلق من المنظور النسوى أو بنفى أن تكون المرأة خلقت تالية للرجل أو من ضلعه.

وقد تكون بعض التفسيرات الإسلامية لقصة الخلق فى القرآن الكريم قد ورد فيها ما يحط من شأن المرأة، لكن هذا لا يعطى مبررا للنظر إلى قصة الخلق بوصفها أسطورة، أو تقديم تفسيرات نسوية متعسفة لها تخرج على أصول التفسير وقواعد اللغة التى نزل بها القرآن الكريم، كما لا يبرر فى الوقت نفسه إنكار ما صح من الأحاديث.

وتتوقف بعض النسويات لمناقشة قضية المساواة فى إطار قصة أخرى من قصص القرآن هى قصة امرأة عمران التى نذرت أن تهب ابنها الذى ستلده للخدمة الدينية لكن الله رزقها ببنت بدلا من الابن الذى كان ترجوه، ويصور القرآن موقفها فى هذه اللحظة فيقول ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران:٣٦]

تذكر أسماء المرابط أن قوله تعالى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ قد اتخذ من قبل الرجال لإثبات عدم المساواة بين الرجل والمرأة، وترى أن الاحتكام إلى السياق ينفى صحة هذا الاحتجاج، فقد أخذت امرأة عمران على نفسها "أن تهب حياة مولودها بشكل كلى لخدمة المعبد المقدس. وبالفعل، وحسب تقاليد ذلك الوقت كانت الطقوس اليهودية تسمح بأن تكرس حياة الأطفال منذ الولادة لخدمة المعبد، غير أن هذا التقليد ينطبق على الذكور دون الإناث بدعوى أن الحيض عند الإناث مصدر للنجاسة، وهو ما يتعارض مع الطهارة الدائمة المفترضة في هذا المكان المقدس. وتجدر الإشارة إلى أنه عبر عصور تاريخ البشرية، كان التمييز ضد الأنثى شيئا متداولا جاريا به العمل، ويظهر بصورة واضحة فى مجال المقدس حيث يتم الزعم أن هذا المجال حكر على الذكور بناء على

الأوامر الإلهية وحسب منطق الأعراف فى ذلك العصر، كان على حنة[1]، لكى تتمكن من تحقيق وعدها، أن تضع مولودا ذكرا حتى يستطيع أن يقوم بهذه المهمة الدينية التى لا يضطلع بها إلا الرجال الصالحون"[2].

وانطلاقا من هذا المنظور ترى أسماء المرابط أن هذا القول الذى عبرت به أم مريم عن حزنها، كان – فى الوقت نفسه – رفضا منها للظلم الاجتماعى الواقع على المرأة فتقول " غير أننا نستشف من خلال حزنها هذا، شعورا وإحساسا بتمرد خفى ضد هذا الحيف الذى يميز بين الذكور والإناث. لقد عبرت عنه بشكوى شخصية لله تعالى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران:٣٦] وهو إقرار رددته بمرارة بين يدى الله عز وجل، وبذلك كانت حنة تشتكى من هذا النظام الاجتماعى القائم الذى يمنع الفتيات من الوصول لهذه السلطة الدينية. وفي مناجاتها لله تعالى شكت حزنها إليه وكشفت له عن ما يؤرقها، وحاولت أن تقنع نفسها بأن نذرها يمكن أن يتحقق حتى بوجود فتاة! فتضرعت إلى الله أن يقبلها ويحميها ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦] وفى لغة ذلك الزمن كان اسم مريم يعنى التقية أو خادمة الله. وكانت حنة من خلال تسمية مولودتها بهذا الاسم، قد عبرت عن إصرارها وثقتها فى أن يستجيب الله لدعائها"[3].

هكذا تبتعد أسماء المرابط عن المعنى القريب للآية وهو معنى الاعتذار عن عدم الوفاء بالنذر لكون المولود أنثى لتجعل من أم مريم ناشطة نسوية تشتكى إلى الله الظلم الذكورى، وتجعلها مصرة أن تجعل ابنتها خادمة تحديا ورفضا لتقاليد المجتمع الأبوى.

---

[1] – اسم امرأة عمران أم مريم

[2] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص ١٠٦

[3] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص ١٠٨

والظلم الذكورى من وجهة نظرها هو التمييز ضد الأنثى بجعل بعض مجالات الخدمة الدينية حكرا على الرجال، وهذه الرؤية التى تقدمها أسماء المرابط تنبع من فكرة ضرورة المساواة الجندرية التامة فى جميع المجالات بين الرجل والمرأة، وهى رؤية لا تتعارض مع المجتمعات الذكورية أو التفسيرات الأبوية للدين، بل تتعارض مع الدين نفسه، فالله – عز وجل – على سبيل المثال جعل النبوة للرجال دون النساء، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [يوسف:١٠٩]، وليس فى اختصاص الرجال بالنبوة من دون النساء تمييز ضد المرأة بمنعها من منصب دينى بدعوى أن الحيض عند الإناث مصدر للنجاسة – كما تذكر أسماء المرابط فى قصة مريم –، وإنما هى الحكمة الإلهية التى اختصت الرجال بأحكام واختصت النساء بأحكام أخرى، دون أن يكون وراء ذلك موقف ذكورى ينتقص المرأة بسبب الحيض، كالذى تشير إليه أسماء المرابط بقولها " قام بعض المفسرين والمفكرين المسلمين، بإخراج الآية ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران:٣٦] عن سياقها التاريخى، وأسندوا إليها تفسيرا يسير فى اتجاه مخالف تماما للمعنى الحقيقى الذى جاء فى القرآن بالفعل، ففى الوقت الذى كان الأمر يتعلق كما تمت الإشارة من قبل، بإصلاح الوضع وإلغاء الأعراف السائدة آنذاك والتى تكرس التمييز بين الجنسين، يلاحظ هنا أن البعض استعمل هذه الآية ليبرر بها دينيا تفوق الرجال على النساء ! رغم أن الآية الكريمة صريحة فى دعوتها لإصلاح الوضع المختل، وإلغاء كل الأعراف والتقاليد التى تغمط النساء حقهن. وقد تشبث بعض المفسرين بهذا التأويل الذى يكرس ثقافيا دونية المرأة، ويزعم أن هذه الآية تقوم دليلا دينيا على تفوق الذكور على الإناث.

إن الذى يثير الانتباه أكثر أن الحجة المزعومة المقدمة من طرف هؤلاء المفسرين غاية فى الابتذال ومبعث على الضحك والسخرية، حيث يدلل بعضهم على دونية المرأة، بكون هذه الأخيرة على خلاف الرجل ليست مرغمة، خلال شهر رمضان، على قضاء أيام الصوم فى حالة حدوث جماع، وهو اتصال

محرم عادة خلال شهر الصيام، ولا نرى جيدا أين هى العلاقة، ولا حتى المنطق الذى يكمن خلف مثل هذه الأحكام والآراء، رغم النص عليها فى أمهات كتب التفسير"[1].

وهى تشير بذلك إلى ما أورده القرطبى من استدلال بعض الشافعية بقوله تعالى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران:٣٦] على أن "المطاوِعة فى نهار رمضان لزوجها على الوطء لا تساويه فى وجوب الكفارة عليها"، لكن أسماء المرابط لا تذكر أن القرطبى نفسه قد رد على هذا الرأى وأبطل ما فيه من الاحتجاج بالآية[2].

وبناء على ذلك رأت أسماء المرابط " أن تفسير الآية الآنفة عوض أن ينظر إليها بوصفها نزلت من أجل تصحيح الوضع وإلغاء التقاليد والأعراف غير العادلة تجاه النساء، جعلها حجة للتهميش الذى كرسته هذه الأعراف فى حق المرأة، وعملت على إبقائه بدعوى انسجامه مع مبادئ الإسلام !"[3].

إن القراءة التى قدمتها أسماء المرابط للآية الكريمة تقوم على أساس افتراض أن المساواة بين الرجل والمرأة تقتضى مساواتها به فى جميع الأحكام الشرعية، وهذا غير صحيح حيث إن هناك بعض الأحكام خاصة بالمرأة كالأحكام الخاصة بالمرأة فى وقت الحيض من عدم صحة صومها وعدم صحة صلاتها، وعدم صحة مكثها فى المسجد، وهى أحكام تعبدية ليس فيها ما يقلل من شأن المرأة أو النظر إليها بطريقة دونية بوصف المرأة مصدرا للنجاسة فى حال الحيض كما ذكرت أسماء المرابط، والآية الكريمة تشير إلى هذا، حيث اعتذرت أم مريم عن الوفاء بنذرها بكون المولودة أنثى لا يصح منها فى بعض الأوقات

---

[1] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص١٠٩

[2] – انظر الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ١٠٣/٥

[3] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص١١٠

ما يصح من الذكر، وهذا الحكم ليس حكما ذكوريا ظالما للمرأة فى مجتمع أم مريم، بل هو حكم إلهى قائم أيضا فى الإسلام. لكن التوجهات النسوية لأسماء المرابط جعلتها توجه الآية إلى غير ما يفهم منها، وهو توجيه يدل على بطلانه ما هو معلوم من الأحكام الخاصة بالمرأة.

ولعل هذا هو ما دفع ألفة يوسف إلى تفسير قول أم مريم ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران:٣٦] بأنه إخبار عن "تراجع امرأة عمران – أم مريم – عن تنفيذ نذرها بأن تهب مولودها لخدمة بيت المقدس وذلك لأن المولود كان أنثى. هو تراجع واعتذار فى الآن نفسه. من اليسير أن نقرأ هذا الاعتذار معياريا من منظور تفضيل جنس على جنس آخر، إن لم يكن فى المطلق، فليكن من حيث القدرة على القيام ب «المهمة» التى نذرت أم مريم جنينها لها . يمكن أن نقرأ الذكر أفضل من الأنثى على أساس أن الأنثى لا تصلح لأن تكون في خدمة الرب، ربما يكون ذلك فى سياق معين، وربما يكون ذلك مطلقا، لا أحد يمكن أن يجزم"[١].

لكن ألفة يوسف سرعان ما تعود لتوظيف القصة من أجل إثبات أفضلية المرأة وليس فقط مساواتها بالرجل فتقول "ولكن من منظور آخر، يمكن أن تفيد القولة ذاتها أن الأنثى أفضل من الذكر. ألم تكن هى الطرف الثانى من التشبيه المنفى؟ ويعرف المختصون في اللغة أنه من الشائع فى مثل هذه التراكيب، أن يكون الطرف الثانى هو الذي يمثل الأفضل. وبعبارة أخرى فإنه من الشائع أن ينفى عن الناقص شبهه بالكامل. فأنت لا تقول عموما: (ليس الشجاع كالجبان)، لكن تقول: (ليس الجبان كالشجاع). وقد ذهب البعض إلى أنه حتى إذا ثبت تفضيل الأنثى على الذكر فى هذا المقول القرآنى، فإن ذلك التفضيل لا يشمل كل الذكور والإناث، وإنما يخص مريم فحسب بصفتها متميزة عن

[١] – وليس الذكر كالأنثى، فى الهوية الجنسية، د. ألفة يوسف، دار التنوير، للطباعة والنشر،تونس، ط١، ٢٠١٤م، ص١٤٥

سواها من النساء بل متميزة حتى عن الرجال"[1].

إن مثل هذه التفسيرات النسوية للقصة القرآنية تجعل منها ميدان صراع بين الرجل والمرأة، وتبعد القصة عن مقاصدها التى أنزلها الله من أجلها، ولا صراع بين الرجل والمرأة فى الإسلام ولا تفضيل لجنس على جنس، ولا لذكر على أنثى إلا بالتقوى والعمل الصالح، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣]، ولا تعارض بين هذه المبادئ التى يقررها الإسلام وبين قوله تعالى ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران:٣٦]، فكون الرجل ليس كالمرأة والمرأة ليست كالرجل حقيقة بيولوجية طبيعية لا تحتاج إلى جدل دينى، ولا يعنى الاختلاف بين الذكر والأنثى دونية نوع، وأفضلية نوع، بل يعنى ضرورة الاستفادة من هذا الاختلاف لاكتمال النوع الإنسانى.

المبحث الثانى : قضية العنف ضد المرأة المبنى على الجندر

يعد العنف ضد المرأة – من المنظور النسوى– نتيجة مترتبة على عدم مساواتها بالرجل وهو لون من ألوان ممارسة السلطة الذكورية على النساء. وقد "بدأ الحديث عن قضية العنف ضد المرأة يأخذ حيزا كبيرا من اهتمامات المنظمات النسائية منذ أواخر القرن العشرين مع بدء صدور الاتفاقيات الدولية الخاصة بالمرأة"[2].

وقد أصدرت الأمم المتحدة فى عام ١٩٩٣م (إعلان القضاء على العنف ضد المرأة)[3] الذى رحبت فيه "بالدور الذى تؤديه الحركات النسائية فى لفت

---

[1]– وليس الذكر كالأنثى، د. ألفة يوسف، ص١٤٥، ١٤٦

[2] – معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة، د.نهى بنت عدنان القاطرجى، باحثات لدراسات المرأة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص٢٠٧

[3] – الدورة الثامنة والأربعون، الجمعية العامة للأمم المتحدة (إعلان القضاء على العنف ضد المرأة)، نيويورك ١٩٩٣، ص٣٠٨، وانظر كذلك نص الإعلان فى موقع الأمم المتحدة على الرابط

=

المزيد من الاهتمام إلى طبيعة وصعوبة وضخامة مشكلة العنف ضد المرأة"[١]. وقد جاء فى الإعلان أن "العنف ضد المرأة هو مظهر لعلاقات قوى غير متكافئة بين الرجل والمرأة عبر التاريخ أدت إلى هيمنة الرجل على المرأة وممارسته التمييز ضدها والإحالة دون نهوضها الكامل، وأن العنف ضد المرأة هو من الآليات الاجتماعية الحاسمة التى تفرض بها على المرأة وضعية التبعية للرجل"[٢].

ويدخل فى العنف ضد المرأة من المنظور النسوى الضرب، وإتيان الزوجة دون رضاها أو كما يسميه إعلان الأمم المتحدة بشأن القضاء على العنف ضد المرأة: (اغتصاب الزوجة)[٣]، وختان الإناث[٤]، وإلزام المرأة بالحجاب[٥].

والمرأة – كما تقول ميسم فاروقى من وجهة نظر نسوية– لم تأخذ "تصيبها كالرجل فى تفسير القرآن الكريم، فكل التفاسير قام بها رجال"[٦]، و"الآيات المفتوحة للتأويل أولت بمعان تتضمن الكره للنساء، وهى الآيات التى أجرت مقابلة بين حقوق الرجل وحقوق المرأة ضمن الأسرة"[٧].

---

https://undocs.org/ar/A/RES/48/104

[١] – الدورة الثامنة والأربعون، الجمعية العامة للأمم المتحدة (إعلان القضاء على العنف ضد المرأة)، نيويورك ١٩٩٣، ص٣٠٨

[٢] – الدورة الثامنة والأربعون، الجمعية العامة للأمم المتحدة، (إعلان القضاء على العنف ضد المرأة)، نيويورك ١٩٩٣، ص٣٠٨

[٣] – الدورة الثامنة والأربعون، الجمعية العامة للأمم المتحدة، (إعلان القضاء على العنف ضد المرأة)، نيويورك ١٩٩٣، المادة الثانية، ص٣٠٩

[٤] – انظر على سبيل المثال: إسلام أم ملك يمين، د. فريال مهنا، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر العربى، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٧م، ص٤٥٣ وما بعدها

[٥] – انظر على سبيل المثال : ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، فاطمة المرنيسى، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافى العربى، الدرا البيضاء، المغرب، ط٤، ٢٠٠٥م. وكذلك فلينزع الحجاب، شاهدورت جافان، ترجمة فاطمة بالحسن، مراجعة إلهام سعد الله، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.

[٦] – الهوية الذاتية للمرأة فى القرآن والشريعة الإسلامية، د. ميسم الفاروقى، ترجمة د. إبراهيم يحيى الشهابى، (ضمن كتاب دعونا نتكلم – مرجع سابق)، ص١٣٨

[٧] – الهوية الذاتية للمرأة فى القرآن والشريعة الإسلامية، د. ميسم الفاروقى، ص١٣٨

وتأتى قضية ضرب النساء فى الإسلام، المذكورة فى قوله تعالى ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء:٣٤] فى مقدمة قضايا العنف ضد المرأة، وترى أسماء المرابط أن هذه الآية كانت موقفا "انتقاليا يهيئ الظروف للتغير التدريجى فى العقليات"[١]. وينبغى أن تفهم الآية فى إطار الآيات الأخرى التى تتعلق بالزواج، والتى توضح أن رؤية القرآن الكريم للمؤسسة الزوجية رؤية تقوم على المودة والرحمة، حيث يصف القرآن الكريم العلاقة الزوجية بأنها علاقة "سكينة وصفاء ومحبة"[٢].

واسترشادا بآراء الفقهاء الذين حصروا "عملية الضرب فى حركة مس خفيف أو الضرب برفق شديد بواسطة قضيب صغير ولين، من نحو السواك الذى كان يستعمل عادة فرشاة لتنظيف الأسنان بشبه الجزيرة العربية"[٣] تصل أسماء المرابط إلى أن الفعل﴿اضْرِبُوهُنَّ﴾ هنا "فعل لا معنى له سوى بعده الرمزى"[٤]، وهنا يأتى توظيفها لقصة أيوب عليه السلام فى القرآن الكريم، للتأكيد على رمزية الضرب، فعندما ارتكبت زوجة أيوب – عليه السلام– فعلا خيب ظنه فيها، توعدها وأقسم أن يعاقبها بالضرب "ومع ذلك أدرك أن هذا الفعل لا يليق به، غير أنه وقع فى حيرة من أمره، لأنه أقسم على ضربها ولابد أن يبر بقسمه، إثر كل ذلك نزلت آية قرآنية لحل هذه المعضلة تقول ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص:٤٤] لقد كان الهدف من هذه الآية تمكين أيوب من أن يبر بقسمه دون أن يلحق الأذى بزوجته"[٥].

---

[١] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٢٢١

[٢] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٢٢٢

[٣] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٢٢٤

[٤] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٢٢٤

[٥] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٢٢٥

وبغض النظر عن كون الآية إخبارا عما حدث، وليست حلا للمشكلة فإن أسماء المرابط تشير إلى ما تدل عليه كلمة ﴿ضِغْثًا﴾ من ضعف الضرب فتقول: "يعتبر الفعل الرمزى المتعلق بالضغث مؤكدا على مبدأ اللاعنف الذى دعا إليه القرآن، وهو تصرف يحمل إيحاءات ومعانى دالة للغاية، هدفها تربية المسلمين على نهج طريقة أخرى فى التعامل والسلوك عندما تتحرك الدوافع الداخلية للعنف البشر الكامن دائما"[١].

وإذا كان التفسير الذكورى لقصة بدء الخلق – من المنظور النسوى – قد تسبب فى عدم مساواة المرأة بالرجل حيث رأت تلك التفسيرات أن " المخلوق الأساسى لله هو الرجل وليست المرأة لأنه يُعتقد أن المرأة قد تم خلقها من ضلع الرجل لذلك فهى مشتقة وثانوية وجوديا"[٢]. بالإضافة إلى أن " المرأة لم تخلق من الرجل فقط، بل ومن أجله مما يجعل وجودها وسيطا وليس أساسيا أوليا"[٣]. فإن جانبا آخر من القصة قد فسر تفسيرا ذكوريا كان من شأنه إعطاء الفرصة للرجل لاستخدام العنف ضد المرأة، هذا الجانب هو الذى يفترض أن "المرأة وليس الرجل هى العامل الأساسى فيما يشار إليه ب (هبوط الإنسان) أو طرده من جنة عدن، لذلك فإن كل (بنات حواء) يجب أن ينظر إليهن ببغض وشك واحتقار"[٤].

وقد ناقشت رفعت حسن هذا التفسير ورأت أنه لا علاقة له بالقرآن، فليس فى القرآن ما يدل على مسئولية المرأة وحدها عن الخروج من الجنة، فالقرآن "لا يضع المسئولية الحصرية أو حتى الأساسية على الرجل أو على المرأة. بل إننا نجد فى الموضع الأخير – الذى نرى فيه آدم مسئولا عن نسيان عهده مع الله

---

[١] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص ٢٢٥

[٢] – الإسلام وحقوق النساء، د. رفعت حسان، ص١٥

[٣] – الإسلام وحقوق النساء، د. رفعت حسان، ص١٥

[٤]– الإسلام وحقوق النساء، د. رفعت حسان، ص١٥

وتمكين الشيطان من غوايته – أن من يرتكب فعل المعصية، أى الأكل من الشجرة المحرمة هما آدم وزوجه معا وليس آدم وحده أو آدم فى المقام الأول"[1].

وإذا كانت رفعت حسن تجعل مسئولية الخروج من الجنة مشتركة بين آدم وحواء فإن فريال مهنا تلقى بالمسئولية الأكبر على آدم عليه السلام فتقول" يتضح من هذه الرواية القرآنية التى يوجه فيها الله أوامره لآدم، أن الشيطان لم يخاطب آدم وحواء معا ولم يتوجه إلى حواء وحدها، وإنما خاطب آدم تحديدا، بمعزل عن حواء، ما يعنى أن الأخيرة لم تحتك بالشيطان بصورة مباشرة، وبالتالى، فإنها لم تتواطأ مع الشيطان ولم تغو آدم لكى يأكل من الثمرة، كما هى الروايات المعتمدة في قصص التراث الإنسانى جميعا، وإنما كانت بعيدة عن لحظة الإغواء الشيطانى وكل ما هنالك أنها استجابت فيما بعد لآدم الذى خضع هو لوسوسة الشيطان ومن ثم دفع حواء لأكل الثمرة، فعصى ربه وغوى ثم تاب عليه وهدى"[2].

وما ادعته فريال مهنا من أن القرآن يذكر أن الشيطان خاطب آدم تحديدا بمعزل عن زوجه بما يعنى أنها لم تحتك بالشيطان بصورة مباشرة غير صحيح، وينقضه قول الله سبحانه ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:١٩-٢٣]، وذكر المثنى الذى يشير إلى آدم وحواء فى الآيات ورد

---

[1] – النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية، د. رفعت حسان، ص٢٢٢

[2] – إسلام أم ملك يمين، د. فريال مهنا، ص٢٠

غير مرة، ويدل دلالة قاطعة أن التفسير النسوى الذى قدمته فريال مهنا قد تجاهل النصوص القرآنية الواضحة التى لا تتوافق مع غايتها.

والغريب أنها لم تتجاهل فقط تلك النصوص لكنها أرادت أن ترمى المفسرين بدائها وتنسل منه، فزعمت أن المفسرين تجاهلوا النصوص القرآنية التى تراها – من وجهة نظرها – مؤيدة لتحميل آدم – عليه السلام – المسئولية كلها دون زوجه فتقول "الغريب فى الأمر أن أغلب كتب التفسير والشرح فى التراث الإسلامى تتجاهل أهمية هذه الجزئية فى الرواية القرآنية، وتتغافل عن أن حواء مبرأة أصلا من العصيان إذ إنها لم تتعاط مباشرة مع الشيطان ولم تمارس أي إغواء تجاه آدم وبالتالى، فإنها لم تكن مدعوة للتوبة، وإنما هو آدم الذى أصغى إلى الشيطان وخضع لإغواء الشيطان، ما يعنى أنه الفاعل الأصلى للخطيئة وللنسيان والعصيان، ما استوجب توبته ﴿فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ٣٧]"[١].

ولم تكتف فريال مهنا بمهاجمة التفسيرات التراثية بل هاجمت كذلك التفسيرات المستنيرة – كما تطلق عليها – لأنها تجاهلت كذلك تحميل آدم – عليه السلام – وحده المسئولية فتقول " وإذا كان بعض الفقه المستنير قد تجاوب مع السرد القرآنى لقصة آدم وحواء، معتبرا أن الله تعالى رفع وزر الخطيئة الأصلية عن حواء وبرأها من إصر إخراج آدم من الجنة، فإنه يتجنب الوقوف عند مقطع مخاطبة الشيطان لآدم فى غياب حواء، معتبرا أن الشيطان أغوى آدم وحواء معاً، ما يتنافى هو الآخر، مع الحيثية القرآنية"[٢]!

وترى ألفة يوسف أن تفسيرات المسلمين للقصة كانت تفسيرات مرتبطة بالثقافة التى كانت مطروحة فى المجتمعات الإسلامية وأنها ساهمت – شأنها

---

[١] – إسلام أم ملك يمين، د. فريال مهنا، ص٢٠

[٢] – إسلام ملك يمين، د. فريال مهنا، ص٢١

فى ذلك شأن التفسيرات اليهودية والمسيحية – فى تكريس العنف ضد المرأة والانتقاص منها من خلال تحميلها وزر خروج آدم – عليه السلام – من الجنة، فتقول "وحرىّ بنا أن نذكر بأن هذا التصور يتجاوز الحوض الثقافى العربى المسلم ليكون أساسا تنبنى عليه الثقافة المسيحية واليهودية الغربية فى تصورها لقصة بدء الخلق. فالمرأة الأولى حواء هى التى أغوت الرجل الأول: آدم، وبذلك تكون هى الفاتنة الفاعلة ويكون الرجل هو المفتون المنفعل. ولئن لم يسند القرآن قط الإغواء إلى زوج آدم فإن عددا كبيرا من المفسرين يعتبرون المرأة مسؤولة عن الخطأ البشرى الأول .

وينتج عن إسناد الإغواء الجوهرى إلى المرأة تحميلها مسؤولية شوق الرجل لها إن فى حضور الشوق أو فى غيابه. فالمسؤول عن الاغتصاب وفق التصور الثقافى الجمعى هى المرأة المغرية، والمسؤول عن خيانة الرجل زوجته هي المرأة الأخرى، والمسؤول عن عدم زواج امرأة هى تلك المرأة نفسها. ألا تعمد اللغة عموما إلى عبارة (جابته لروحها) عند الحديث عن التحرش أو الاغتصاب؟ وإلى عبارة (دارت بيه بنت حرام) عند الحديث عن خيانة الرجل؟ وإلى عبارة (عانس) أو (بايرة) أو (مبارة) عند الحديث عن المرأة غير المتزوجة؟ وفى كل الأحوال تحيل هذه العبارات اللغوية الموسومة سلبا على المرأة دون سواها، وتحملها دون الرجل مسؤولية الرغبة الذكورية الحاضرة والغائبة"[1].

وتؤكد ألفة يوسف على أن القرآن ليس مسؤولا عن هذا التصور وإنما تقع المسؤولية على عاتق المفسرين فتقول" لم يشر القرآن قط إلى أن زوج آدم مسؤولة عن الخطأ، بل يجعلهما كليهما، أى آدم وزوجه مسؤولين لأنهما استجابا إلى إغواء الشيطان ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة : ٣٦]. ويؤكد القرآن أن آدم مخطئ، فهو يطلب المغفرة من الله تعالى

[1] – وليس الذكر كالأنثى، د. ألفة يوسف ، ص٦٤، ٦٥

الذى تاب عنه ﴿فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ٣٧]. وخلافا لذلك نجد بعض المفسرين يشيرون إلى حكاية إغواء الحية لحواء وإغواء حواء لآدم"[١]. وتشير ألفة يوسف إلى تفسير الطبرى مثالا على هؤلاء المفسرين[٢].

والقرآن الكريم الذى ذكر أن آدم عليه السلام قد طلب المغفرة من الله عز وجل قد ذكر مثل ذلك عن زوجه فى قوله تعالى ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، لكن ألفة يوسف لا تذكر شيئا عن ذلك.

وعلى غرار ما قامت به التفسيرات النسوية من تحميل قضية إغواء حواء لآدم – عليه السلام – وزر تسويغ العنف ضد المرأة، قامت تلك التفسيرات النسوية بالأمر نفسه فى محاولة قضية إغواء امرأة العزيز ليوسف – عليه السلام – حيث رأت النسوية أن التفسيرات الذكورية للقصة فتحت الباب أمام العنف ضد المرأة بوصفها مصدرا للغواية وصاحبة كيد عظيم كما جاء فى القصة فى قوله تعالى ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨].

وكما حاولت التفسيرات النسوية إبعاد أى مسؤولية عن حواء، وتحميل آدم – عليه السلام – وحده مسؤولية مخالفة أمر الله – عز وجل – فقد قامت التفسيرات النسوية لقصة يوسف بما يشبه ذلك

وإذا كان القرآن الكريم ليس فيه حقا ما يدل على أن حواء هى التى قامت بإغواء آدم– عليه السلام، فإن محاولة غواية امرأة العزيز ليوسف عليه السلام فى القرآن الكريم كانت واضحة. وعلى الرغم من ذلك فإن التفسير النسوى أراد بقدر المستطاع رفع الإثم عنها من خلال تقريب الهوة بين موقف امرأة العزيز وموقف يوسف عليه السلام، فخلافا لما يتبادر إلى الأفهام من قصة يوسف –

---

[١] – وليس الذكر كالأنثى، د. ألفة يوسف ، ص٦٤

[٢] – وليس الذكر كالأنثى، د. ألفة يوسف ، ص٦٤. وانظر جامع البيان فى تأويل القرآن، أبو كعفر محمد بن جرير الطبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص٣٧٣

عليه السلام – حيث تظهر المرأة خاطئة والرجل معصوما تصور أسماء المرابط موقف يوسف –عليه السلام– من دعوة امرأة العزيز إليها فتقول " لقد بدا الفتى مترددا فى أول الأمر لكنه سرعان ما حسم الأمر فى النهاية، وتمكن من مقاومة غواية هذه المرأة الجميلة. وكما وصف النص القرآنى اعترض يوسف ما وسعه الاعتراض وقد كاد أن يسقط فى شرك فتنتها وغوايتها لولا رؤية برهان ربه الخالق"[١].

وهكذا تصور أسماء المرابط يوسف – عليه السلام– يقترب من الوقوع فى الفاحشة، لا فرق بينه فى ذلك وبين امرأة العزيز لولا وحى الله "الذى أوقد ضميره فى الوقت الذى كاد أن يستسلم ويضعف أمام سحر جمال سيدة المنزل"[٢].

ولما كان هذا التصوير الذى قدمته أسماء المرابط ليوسف – عليه السلام– يتصادم مع مفهوم عصمة الأنبياء – عليهم السلام – وما تقتضيه هذه العصمة الثابتة فى حقهم من حفظهم من الوقوع فى الفواحش، بل التفكير فى الإقدام على فعلها فقد قدمت أسماء المرابط تفسيرا جديدا لمفهوم العصمة حيث ترى أن العصمة تتجلى أساسا "فى قدرتهم على المقاومة والصبر إزاء الامتحان الإلهى، وهنا يتجلى كل الاستحقاق الناتج عن التزامهم الإنسانى اتجاه الله سبحانه وتعالى، لم يكن يوسف – عليه السلام – ملكا، بل كان بشرا عانى وقاوم شهوته، وكابد مكابدة نفسية داخلية كبيرة جدا، حتى يستطيع أن يتحكم فى كل شهواته السلبية ويتغلب على كل الإغراءات التى يتعرض لها بنو البشر. لقد كان على حافة الغواية لأنه أولا وقبل كل شىء كائن بشرى ضعيف"[٣].

فى مقابل هذه الصورة التى رسمتها أسماء المرابط ليوسف عليه السلام ترسم

---

[١] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص ٧٠

[٢] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٧٠

[٣] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٧٠

صورة مغايرة لامرأة العزيز تحاول فيها أن تحسن من موقفها وتقدم لها مبررات تخفف من فداحة مراودتها ليوسف – عليه السلام – فتقول " القرآن لم يطلق أحكاما بشأن هذه المرأة، بل اكتفى برواية الأحداث ووصف الأماكن وتصوير الأحداث بدقة متناهية، دون أن يسم زليخة بأى سمة. فقد وصف القرآن عملا ليس مقبولا فى حد ذاته، وأظهر بجمالية فائقة مجافاته الأخلاق الفطرة. وهذا هو النهج الربانى الذى ينهجه القرآن اتجاه هذا النوع من التصرفات الإنسانية. ولهذا نلاحظ أن بعض المفسرين القدماء، يضمرون شيئا من التعاطف والمحاباة اتجاه هذه المرأة، بل منهم من يبرر سلوكها هذا بشكل ضمنى على حد ما رواه الطبرى من أن العزيز زوج زليخة كان رجلا عاجزا لا قدرة له على إتيان النساء.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بوتيفار (أى العزيز) عرف فى الأدبيات الغربية بكونه مخصيا، وقد أشار الطبرى لهذا العجز عند العزيز فى سياق المقارنة مع ما كانت تتمتع به امرأته من جمال وصغر وثراء. ويبدو أن الطبرى المؤرخ الكبير لم يشأ أن يقدم أحكاما متسرعة فى حق زليخة امرأة العزيز، بل آثر النظر إلى تصرفها بنسبية ولم يتردد فى التماس الأعذار لها، مقتفيا بذلك الحلم الذي سلكه معها النص القرآنى"[1].

ويلاحظ أن الدراسات النسوية تتخذ من تراث تفسير القرآن موقفا انتقائيا مترددا، فتقبل الاحتكام إلى المفسرين إذا ما وجدت فى كلامهم ما يؤيد رؤيتها النسوية، وترفض كلام المفسرين، بل تصم تفسيراتهم بأنها نابعة من نظرة ذكورية تاريخية فى حال ما كان كلام هؤلاء المفسرين يخالف الرؤية النسوية.

إن الطبرى الذى جعلته ألفة يوسف مثالا على المفسرين الذين أسهمت تفسيراتهم فى العنف ضد المرأة هو الطبرى نفسه الذى استدعت أسماء المرابط تفسيره لتطهر به ساحة امرأة العزيز.

ولم تقدم الدراسات النسوية تفسيرا لتنوع مواقف الطبرى – أو غيره كمحمد

---

[1] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٧٤ ، ٧٥

عبده الذى تستشهد بآرائه الدراسات النسوية[1] – من المرأة على الرغم من كون الطبرى بحسب الدراسات النسوية – كغيره من المفسرين الذكور – يصدر فى تفسيره عن نزعة ذكورية، فهل هذه النزعة الذكورية تظهر أحيانا وتختفى أحيانا على الرغم من كون هؤلاء المفسرين رجالا فى جميع الأحوال؟!

وتستمر أسماء المرابط فى تقديم اعتذارات – أو تبريرات – عما فعلته امرأة العزيز من مراودة يوسف من خلال التأكيد على شدة حبها له، كما يفهم من استخدام الفعل (شغفها) فى قوله تعالى ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف:٣٠]، "إن عبارة شغفها حبا تصعب ترجمتها بكلمة (تحبه) فقط لأن الشغف أقوى وأعمق من ذلك كله"[2].

ولتأكيد أسماء المرابط على هذا التبرير تلجأ إلى الاستشهاد بالتراث سواء أكان تفسيرا روائيا، أم أدبا شعبيا، أم عبارات صوفية فتستشهد بابن عباس – رضى الله عنه – فتقول " وبالفعل فإننا نجد ابن عباس – رضى الله عنه – يتحدث عن (الحب القاتل) حيث بين أن كلمة (شغف) ترمز للغشاء الداخلى للقلب، (أو ما أطلق عليه حجاب القلب) لقد كان حب زليخة فى نظره قويا جدا لدرجة أنه تغلغل فى أعمق جزء من قلبها فهو حب يخرق الحجاب الداخلى للقلب"[3]، وتستشهد كذلك بالشعراء المسلمين "الذين وصفوا حب زليخة بحب يمزق حجاب البراءة"[4]. وتستشهد أيضا بجلال الدين الرومى الذى جعل زليخة وحبها مثلا لأقصى ما يبلغه الحب من قلوب المحبين.

---

[1] – انظر على سبيل المثال استشهاد أسماء المرابط بتفسير محمد عبده لقوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) [انظر القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٢١، وكذلك تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م، ٢٦٥/٤]

[2] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٧٦

[3] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٧٦

[4] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٧٧

كما تنقل عن ابن عربى أنه "يصور هذا الحب الأسطورى فى كتابه الفتوحات المكية فيقول (يحكى أن زليخة أصيبت بسهم أسال دمها فوق الثرى، فرسم اسم يوسف فرددت هذا الاسم عدة مرات بدون شعور حتى سرى فى عروقها كالدم)"[1]

ثم تقول أيضا "وأصبحت زليخة في الأدب الصوفى الفارسى والهندى والإسلامى، رمزا لأولئك اللواتى يعانين من هذا الداء. إنها بطلة محبة وشجاعة وقوية في نظر كل الذين أشفقوا عليها جراء معاناتها وآلامها: (الناس يرون على الدوام قميص يوسف المعرق .. لكنهم لا يرون القلب الممزق والمكلوم لزليخة) "[2].

وهكذا تحشد أسماء المرابط كل ما تستطيع الاستعانة به من التراث المنقول من أجل إنقاذ موقف زليخة – على الرغم من أن أصحاب هذه الشواهد كابن عباس والرومى وابن عربى رجال أيضا – بل تبريره، بل الإشادة به، حيث تفيض على امرأة العزيز ما تفيض من العبارات التى تجعل منها مثالا للمرأة المحبة التى لا يمكن أن تلام على حبها.

ومن القرائن التى تقدمها أسماء المرابط للتخفيف من إدانة امرأة العزيز ما وصف به القرآن النسوة اللائى تناقلن خبرها مع يوسف عليه السلام فالقرآن الكريم " انتقد بصورة مباشرة سلوك هؤلاء النسوة، عندما تحدث عن مكرهن. والمكر لفظ يعنى (الخداع) و(الاحتيال) وقد وصف الله موقفهن هذا بالمكر وهى كلمة محملة بمعنى كثيف جدا. لقد أراد القرآن الكريم بهذا اللفظ أن يبرز استنكاره الشديد لفعل هؤلاء النسوة والذى يعد قذفا، وإن كان سلوك زليخة مع يوسف يشكل منكرا فى حد ذاته، وبعبارة أخرى يبدو أن القرآن يؤكد على أن

[1] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٧٧

[2] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٧٨

ليس للنسوة الحق فى إطلاق أى حكم على زليخة أو بالأحرى قذفها رغم السلوك الفاحش الذى قامت به"[١].

ويبدو أن أسماء المرابط فى حومة الدفاع عن المرأة – حتى لوكانت امرأة العزيز – قد غفلت عن وقوعها دون أن تشعر فى إدانة جمع من النساء وليس امرأة واحدة.

وعلى كل حال فإن أسماء المرابط أرادت بتفسيرها للقصة أن تظهر المرأة – المتمثلة فى امرأة العزيز – مظلومة "أهينت إهانة مضاعفة، لقد أهينت فى حبها الخالص ليوسف، وأهينت فى شرفها"[٢]. "لقد أحست زليخة بجرح بالغ بسبب ما قيل فى حقها من طرف نساء المدينة واللواتى يبدو أنهن لم يستطعن فهم ما حدث لها، ولا إدراك ما كانت تعيشه فى أعماق نفسها من شغف وحب"[٣].

وزليخة من هذا المنظور لاقت من المجتمع لونا من ألوان العنف النفسى، وذلك لأن المجتمع لم يتفهم حبها ليوسف عليه السلام !

وتختتم أسماء المرابط تأويلها لموقف امرأة العزيز فترى أن هذه المرأة جسدت "على حد وصف القرآن الكريم لها النفس البشرية التى تأمر بالسوء، لكنها لم تستسلم لها إلى الأبد، بل بالعكس أبانت عن مقاومة داخلية قوية سعت بجهد جهيد إلى تطهير هذه النفس الأمارة بالسوء، ويظهر لنا ذلك بوضوح فى نهاية قصتها فى القرآن الكريم. ففى هذا المشهد الأخير الذى يصفه القرآن نقف على درجة الاضطراب الروحى الذى عاشته زليخة. غير أنها وبعد العامل الداخلى الجبار الذى قامت به تمكنت من التوبة"[٤].

---

[١] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٧٨

[٢] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٧٨

[٣] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٧٨

[٤] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص ٨٣

ثم تقول "ويقدم لنا القرآن أيضا من خلال قصة زليخة المرأة التى كانت رغما عنها بطلة فى الحب المحظور، درسا فى الإنسانية والتسامح. وإذا كانت القراءة الحرفية لهذه الآيات تدينها دون رحمة، وتجعلها عنوانا للمراودة الأبدية، وتحملها المسؤولية النسائية فى الغواية والحث على فعل المنكرات، فإن القرآن الكريم وصف بلطف كبير شغفها، وحبها القوى، ومعاناتها وكذا الموقف الصعب الذى وقفته عندما أرادت أن تكفر عن ذنبها، كما وصف فى الأخير توبتها التى تشع صدقا وروحانية.

وكما لو أن النص القرآنى فى هذا الصدد، حاول تبديد الخوف الدائم من المرأة، ومن شهوتها المدمرة، وذلك بتقديم صورة للمرأة التى استطاعت بتطهير نفسها عن طريق معاناتها أن تجسد وإلى الأبد ضعف النفس البشرية الفقيرة. وفى كل مرة نعيد قراءة هذه الآية المتعلقة بالنفس الأمارة بالسوء، ألا يتوجب علينا التفكير فى معاناة زليخة ومن خلالها التفكير فى ضعفنا الإنسانى الذى لا يمكن بأى حال من التخلص منه"[1].

وهكذا تنتهى أسماء المرابط فى تفسيرها من أجل رفع الظلم عن المرأة إلى جعل امرأة العزيز رمزا، ومضرب المثل فى الصلاح والتقوى !

وقد أرادت النسوية بهذا التفسير الذى يبرر موقف امرأة العزيز أن تغلق الباب الذى فتحه الرجال – من خلال هذه القصة – لممارسة العنف ضد المرأة بوصفها مصدرا للغواية، وإحكاما لإغلاق هذا الباب كان على النسوية أن تتوقف عند قوله تعالى ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨]، حيث رأت النسوية أن الآية الكريمة قد "أصبحت فيما بعد بمثابة القول المأثور الذى يحط من قيمة النساء بصورة مطلقة"[2].

---

[1] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٨٥

[2] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٧١

حيث إن "مصطلح (كيد) أخذ دلالة قدحية تخيف وترعب، بعدما أدرج فى سياق قصة مراودة زوجة العزيز ليوسف ومحاولة غواتية وصار بعد ذلك كيد زليخة من الإغراء الأنثوى المشهور والمحظور والضال. وبمرور الوقت عرف شيوعا مفرطا فى التصور الإسلامى وصار يرتبط تلقائيا وبشكل عام، بصورة المرأة ونزعتها المزعومة نحو الكيد والخيانة والمكر"[١].

وتربط أسماء المرابط بين كيد المرأة فى قصة يوسف – عليه السلام – وما يقال من إغواء حواء لآدم– عليه السلام– للأكل من الشجرة فتقول " إن هذا الفهم الشعبى هو الذى ساد طويلا وعضد موقف بعض العقليات المؤهلة لهذا النوع من التأويلات المعادية للمرأة، وعلى غرار الخطيئة الأصلية الأولى التى ألصقت ظلما بأولى نساء البشرية، انضافت على عاتق كل النساء مسؤولية جرم الكيد الذى اقترفته زليخة زوجة العزيز"[٢].

وقد بدأت أسماء المرابط فى مناقشة مدلول الآية الكريمة من خلال المعنى اللغوى للكيد، حيث رأت أن الكلمة كما تفيد معنى (الخداع) و(المؤامرة) و(الحيلة) أحيانا، فإنها أيضا فى أحيان أخرى تفيد معنى (الجهد الذى يبذله الإنسان فى تحقيق أى مهمة أو عمل)، وعلى ذلك فقد " نجد حالات يكون له فيها معنى إيجابى، وفى حالات أخرى يكون له معنى سلبى"[٣].

وهذه المحاولة من أسماء المرابط فى التعويل على المعانى اللغوية المتعددة لكلمة الكيد لاستبعاد إدانة المرأة من خلال المعانى السلبية للكلمة فيه تجاهل لدور السياق فى تحديد المعنى المقصود، فإذا كانت الكلمة لغويا قد تفيد معانى إيجابية ومعانى سلبية فإن السياق فى الآية يحيل – بلا شك – على المعانى السلبية لا الإيجابية.

---

[١] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص ٧٢

[٢] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص ٧٣

[٣] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص٧١

ومن جهة السياق رأت أسماء المرابط أنه سياق موقف خاص لا يجب الخروج منه بحكم يعم جميع النساء، فعبارة ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨]" جاءت وبصورة شرعية مقبولة على لسان زوج زليخة وهى أقل ما يمكن أن يقوله رجل فى هذه الواقعة، حيث أراد أن يعبر عن المرارة وخيبة الأمل التى أحسها جراء خيانة زوجته له. لقد صاغ هذه العبارة فى شكل حكم قطعى ليخفف عنه الآلام التى تعتمله وتعتصر قلبه، وكذلك ليطفئ بها غضبه وغيظه"[١].

وعلى الرغم من أن السياق الذى وردت فيه الآية كان ينقل الحالة النفسية التى كان يعيشها العزيز فى تلك اللحظة فإنه قد "فسح المجال أمام تعميم قولة العزيز هاته، وإخراجها عن السياق الذى أنجزت فيه، بل صار مع مرور الوقت معناها الحرفى كلاما مقدسا ينسب إلى الله تعالى حيث يعاتب فيه كل نساء العالم، وشيئا فشيئا صار هذا التأويل المختزل الذى أُعطِى لهذه الآية ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ شعارا أو وصية ربانية تحذر الرجال من أن يضلوا بسبب النساء. من هنا أصبح شائعا أن الله أكد فى كتابه على صورة الاحتياط من كل النساء بسبب قدرتهن القائمة والخطيرة على المكائد والدسائس"[٢].

والقرآن الكريم ليس مسؤولا عن الفهم الخاطئ لآياته، وإن كان شائعا، والآية تنسب هذا القول بوضوح للعزيز وليس لله، قال تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨].

وبصفة عامة فإن الإسلام لا يدين النساء لأن حواء – كما قيل – أغرت آدم – عليه السلام– بالأكل من الشجرة، أو لأن امرأة العزيز أرادت أن تغوى يوسف عليه السلام، ومن يقرأ القرآن بإنصاف، ويتدبر أحكام الإسلام الخاصة

---

[١] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص ٧٢

[٢] – القرآن والنساء، أسماء المرابط، ص ٧٣

بالنساء بنظرة غير متحيزة، فإنه يدرك أن القرآن لم يدع إلى العنف ضد المرأة ولم يبحه، وأن الشريعة الإسلامية فى كل أحكامها أبعد ما تكون عن ذلك.

وإذا كانت بعض الاتجاهات النسوية تردد أن القرآن الكريم ليس فيه ما يدعو إلى العنف ضد المرأة، وترى أن الدعوة إلى العنف جاءت من قبل التفسيرات الذكورية، فلا يعنى هذا أن ما تقدمه من تفسيرات بديلة يخلو من الشطط والغلو، بل من الواضح – مما سبق – أن تلك التفسيرات تتحكم فيها أهواء النزعة النسوية بحيث لا تقبل – فى حقيقة الأمر– ما هو من القرآن الكريم نفسه وليس فقط ما جاء فى تفسيره.

المبحث الثالث : قضية الهوية الجندرية

قضية الهوية الجندرية إحدى القضايا التى تطرح بقوة فى الموجة الأخيرة من الفكر النسوى، والمقصود بالهوية الجندرية الإحساس الداخلى للإنسان بجنسه من حيث الذكورة والأنوثة، بغض النظر عن كونه فى الواقع ذكرا أو أنثى من الناحية البيولوجية. فالذى يحدد نوع الإنسان – من هذا المنظور النسوى– هو الإنسان نفسه، وليست الطبيعة التى خلقه الله عز وجل عليها.

وقد لا تتوافق الهوية الجندرية مع الجنس البيولوجى، بحيث يتاح أن يختار الذى ولد ذكرا أن تكون هويته الجندرية أنثى، أو تختار التى ولدت أنثى أن تكون هويتها الجندرية ذكرا، فيما يطلق عليه مصطلح (التحول الجنسى)، وبناء على ذلك فيكون من حق أى إنسان بناء على ما اختار من هوية جندرية أن يتحول جنسيا عن طريق التدخل الطبى أو عن طريق الممارسة الجنسية مع الشريك الذى يتناسب مع الهوية الجندرية التى اختارها، بحيث يمكن للأنثى التى اختارت لنفسها هوية جندرية ذكورية أن تمارس العلاقة الجنسية مع أنثى أخرى بوصفها ذات هوية جندرية ذكورية، وكذلك فمن حق المولود ذكرا أن يختار ممارسة العلاقة مع ذكر آخر إذا اختار لنفسه هوية جندرية أنثوية.

ومن هنا فإن الهويات الجندرية تؤدى إلى توجهات جنسية متعددة فيكون

هناك (المتغاير جنسيا أو الغيرى) وهو السوىّ الذى يقوم بممارسة العلاقة الجنسية مع الجنس المختلف عن جنسه، حيث يميل الرجل إلى المرأة، وتميل المرأة إلى الرجل، و(المثلى) – أو الشاذ كما يجب أن يطلق عليه– وهو الرجل الذى يمارس العلاقة مع رجل آخر، و(المثلية) – أو الشاذة كا يجب أن يطلق عليها– وهى المرأة التى تمارس العلاقة مع امرأة أخرى، و(ثنائى الميول الجنسية) – أو الشاذة والشاذة أيضا– وهو الذى يقيم علاقة جنسية مع من هو من نفس جنسه أو من جنس مغاير[١].

وبما أن الهويات الجندرية – من المنظور النسوى– يجب أن تكون جميعا متساوية لا تمايز بينها – بناء على مبدأ المساواة الجندرية – فإن التوجه الجنسى أيضا يجب النظر إليه بطريقة لا تمايز فيها بين التوجهات الجنسية المختلفة. بل يكون للإنسان مطلق الحرية فى اختيار نوع شريكه فى الممارسة الجنسية.

وجاء فى اتفاقية الأمم المتحدة (سيداو) النص على أنه "تنطبق الجنسانية بالتساوى على الأشخاص ذوى الهويات الجنسانية المتنوعة، بما فى ذلك الأشخاص غير الثنائيين الذين لا يعرفون أنفسهم بأنهم رجال أو نساء فقط أو لا يدخلون ضمن التصنيف الثنائى الجنسى. ويشمل مصطلح (مجتمع الميم) هؤلاء الأشخاص أيضا"[٢]، وتقصد الاتفاقية بمجتمع الميم "الأشخاص ذوى الميول الجنسية والهويات الجنسانية المتنوعة الذين يعرفون أنفسهم بمصطلحات أخرى مثل الأشخاص غير الثنائيين"[٣].

---

[١] – انظر حول الهوية الجندرية : قاموس الجندر، مؤسسة دعم لبنان، بيروت، ٢٠١٦م، ص١٤ وما بعدها

[٢] –اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة وبروتوكولها الإضافى، الأمم المتحدة بالاشتراك مع الاتحاد البرلمانى الدولى، ٢٠٢٣م، ص١٥

[٣] – اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة وبروتوكولها الإضافى، الأمم المتحدة بالاشتراك مع الاتحاد البرلمانى الدولى، ٢٠٢٣م، ص١٥

وترى النسوية أن "عقيدة الميل إلى الجنس الآخر – باعتبارها مؤسسة وأيديولوجية – هى عنصر ضرورى للإبقاء على النظام الأبوى"[١]. فهذا النظام الأبوى قهر المرأة عن طريق إقناعها أن العلاقة الجنسية الطبيعية هى فقط العلاقة بين الرجل والمرأة، "الأمر الذى يمنع المرأة من تكوين علاقات مثمرة مع غيرها من النساء"[٢]، كما عرضت "المثلية الجنسية عند الرجال والنساء للتهميش فى إطار الأيديولوجية التى تتبنى عقيدة الميل للجنس الآخر"[٣].

وترى رجاء بن سلامة أن القرآن يذكر أن الله خلق (الذكر والأنثى)، "فالنظام الإلهى الجندرى ينبنى على ثنائية صريحة ولا يقبل جنسا ثالثا"[٤]، والقرآن بذلك نفى أن يكون هناك جنس ثالث، لكن من وجهة نظر رجاء بن سلامة أيضا أن "هذا النفى للجنس الثالث لن يصمد أمام الوقائع البشرية المعقدة. ففى القرآن نفسه إشارة إلى صنفين من الكائنات يمكن أن ينافى كل منهما على نحو خاص الثنائية التى قررها الله"[٥].

والصنفان اللذان تشير رجاء بن سلامة إلى وجودهما فى القرآن هما (الخصيان) أو (المخنثون) و (اللوطيون) أو (المثليون) كما تسميهم.

أما الصنف الأول وهم الخصيان أو المخنثون "فمن المفسرين من وجد إشارة إليهم فى الآية ٣٤/٢٤[٦] التي سمحت للنساء بإبداء زينتهن إلى ﴿التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ [النور:٣١]. وإلى جانب الخصيان توجد كائنات أخرى بين بين ليسوا بالرجال ولا النساء : إنهم غلمان الجنة، الذين سيكونون موضوع متعة الرجال فى الآخرة. فرغم أن القرآن يحرم بشدة المثلية الرجالية

---

[١] – النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، ص ٣٦٨

[٢] – النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، ص٣٦٨

[٣] – النسوية وما بعد النسوية، سارة جامبل، ص٣٦٨

[٤] – بنيان الفحولة، د. رجاء بن سلامة، ص١٥

[٥] – بنيان الفحولة، د. رجاء بن سلامة، ص١٥

[٦] – الصواب ٢٣: ٣١

اللواط والأبنة، فإنه وعد الصالحين من الرجال بـ﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة:١٧] يتولون خدمتهم ويطوفون عليهم، ولدان ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ [الطور:٢٤] أو ﴿لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ [الإنسان:١٩]. لا شك أن هذين الصنفين يدعمان الهيمنة الذكورية فى الدنيا والآخرة وقد أسقطت عليها البنى الاجتماعية الدنيوية، ولكنهما يدلان مع ذلك على أن النص المقدس ذاته يحدث شرخا داخل الصرح الثيولوجى[١] للنظام الجنسى الثنائى"[٢].

وفى إطار مواصلة "البحث فى الشروخ والثغرات"[٣] – كما تقول رجاء بن سلامة – التى تناقض مفهوم القرآن عن الطبيعة الجندرية الثنائية التى حددها القرآن والمتمثلة فى الذكر والأنثى، تشير رجاء بن سلامة إلى الصنف الثانى وهم اللوطيون أو المثليون، ومن ثم تعرض لقصة قوم لوط فتقول " أما الاتجاهات الجنسية التى تربك على نحو آخر النظام الجنسى الثنائى، فما يذكره منها القرآن صراحة هو المثلية الذكورية. لا يستعمل القرآن بشأنها صفة (مخنث) بما توحى به من فكاهة خفيفة تحيل إلى السلوك، بل يستعمل كلمة (اللواط) التى تحيل إلى النبى لوط. لقد ذم القرآن هذا الاتجاه الجنسى فى آيات كثيرة (٧/٧٩-٩١، ٧/٥٤-٥٥، ٢٦/٦٥) وذكر بالعقاب الذى أنزله الله على قوم لوط لإتيانهم الرجال دون النساء.

أما المثلية الأنثوية، فلم تذكر صراحة. إنما ذهب بعض المفسرين إلى أن السحاق هو المقصود بالفاحشة فى الآية الموالية: ﴿ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥]. فانتهوا إلى أن عقاب السحاقية سجنها فى البيت إلى الممات"[٤].

---

[١] – أى العقائدى أو اللاهوتى Theology

[٢] – بنيان الفحولة، د. رجاء بن سلامة، ص١٥

[٣] – بنيان الفحولة، د. رجاء بن سلامة، ص١٥

[٤] – بنيان الفحولة، د.رجاء بن سلامة، ص١٧

وكلمة (اللواط) لم ترد فى القرآن الكريم – كما ذكرت رجاء بن سلامة – لكن القرآن الكريم أورد توصيفا لفعل اللواط دون أن يصرح بالفعل، كما فى قوله تعالى ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف:٨٠-٨١] وقوله ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء:١٦٥-١٦٦]، وقوله ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [النمل:٥٤-٥٥] وقوله ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت:٢٨-٢٩] ووصف الفعل على النحو المذكور فى القرآن له أثره فى التنفير من هذا الفعل وبيان مخالفته للفطرة، لكن يبدو من توجه رجاء بن سلامة النسوى رغبتها فى إضعاف موقف القرآن الكريم من هذا الفعل، تارة بإظهار اللواط كسلوك بشرى مناقض لما حدده القرآن من الطبيعة الثنائية للخلق، وتارة أخرى بالحديث عن أن القرآن لم يحدد "عقوبة اللواط"[١]، حيث تشير رجاء بن سلامة إلى أن عقوبة اللواط هى عقوبة من وضع الفقهاء والسلاطين، وقد أشارت كذلك ألفة يوسف إلى "أن القرآن لا يحتوى على أى حد صريح للاطة"[٢]. وكذلك لا يوجد فى السنة حد للواط[٣].

وترى رجاء بن سلامة أن العقوبات التى وضعها الفقهاء "لم يكن بإمكانها أن تسد الباب أمام اللاأخلاقية العمومية وثقافة الجندر الثالث واللاجندر. لقد أمكن للمسلمين القدامى أن يستنبطوا مناطق واسعة من التسامح فيما بين الرغبة

---

[١] – بنيان الفحولة، رجاء بن سلامة، ص١٩

[٢] – حيرة مسلمة فى الميراث والزواج والمثلية الجنسية، د. ألفة يوسف، دار سحر للنشر، تونس، ط٣، ٢٠٠٨، ص٢١٢

[٣] – حيرة مسلمة، د. ألفة يوسف، ص٢١٣

والقانون، وأن يتحينوا فرص (غفوة الرقيب) التى طالما تغنى بها الشعراء العرب. كان الله رغم كل شىء (غفورا رحيما) وكان الإثم خطوة نحو التوبة، وكانت التوبة والإثم بمثابة الوجه والقفا"[1].

وهكذا تصور رجاء بن سلامة الشذوذ بأنه طبيعة لا تستطيع العقوبات أن تمنعها !

وتناقش ألفة يوسف قضية الهوية الجندرية والجنسية المثلية أيضا من خلال قصة لوط – عليه السلام – وتذكر أنه إذا " عدنا إلى ما يقوله القرآن والسنة فى المسألة وجدنا أنفسنا إزاء ضروب من الحيرة الفكرية شتى"[2]. وتوضح ألفة يوسف سبب هذه الحيرة عن طريق مقارنة ذكر اللواط فى القرآن بذكر السحاق حيث وجدت أن اللواط يذكر فى مواضع متعددة من القرآن الكريم من خلال قصة لوط – عليه السلام– مع قومه، فى حين أن الإشارة إلى السحاق جاءت مرة واحدة فى القرآن الكريم بطريقة غير صريحة فى قوله تعالى ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٥].

وتفسر ألفة يوسف ذلك من منظور نسوى بقولها "وليس الأمر غريبا فلئن خرج السحاق عن التنظيم القضيبى للعالم، ومس النرجسية الذكورية وأضمر تصورا مختلفا لمتعة المرأة الجنسية، ونفى اقتصار المرأة على أن تكون موضوعا لمتعة الرجل، فإنه يحافظ مع ذلك على المرأة موضوعا ممكناً لمتعة الرجل وإن يكن ذلك بالقوة لا بالفعل. وفى مقابل ذلك فإن اللواط لا يخرج عن التنظيم القضيبى للعالم فحسب وإنما يحوّل الذكر موضوعا لمتعة الذكر فيتجاوز الخروج عن التنظيم القضيبى للعالم إلى تحطيم هذا التنظيم الذى لا يكون إلا بوجود موضوع واحد ممكن للمتعة الذكورية وهو المرأة"[3].

---

[1] – بنيان الفحولة، د. رجاء بن سلامة، ص١٩

[2] – حيرة مسلمة، د. ألفة يوسف، ص ١٦٥

[3] – حيرة مسلمة، د. ألفة يوسف، ص١٨٤

والنظام القضيبى فى الفكر النسوى يقصد به النظام الجنسى الذى وضعته المجتمعات الذكورية حيث يكون دور المرأة فيه إمتاع الرجل. ومن ثم توازن بين موقف المجتمع ومفسرى القرآن من السحاق وموقفهم من اللواط فترى أن موقفهم من السحاق هو موقف (الاستهجان)، أما موقفهم من اللواط فهو موقف (الاستبشاع) و(الاستنكار)، والاستهجان أقل إنكارا من الاسبشاع والاستكار، وتفسر هذا التباين بين الموقفين بقولها "إن (استهجان) الأنثى اجتماعيا لأنها مجرد موضوع لمتعة الرجل هو ما يفسر (استبشاع) اللواط واستنكاره، فالمفسرون يستنكرون اللواط لأنه يحول الذكر إلى موضوع لمتعة الذكر ومن ثم فهو يكسب الذكر (الموضوع) سمات الأنثى، محطما الدالة القضيبية الرمزية التى يعتبرها جل المفسرين طبيعية. فهذا الرازى يقول: (الذكورة مظنة الفعل والأنوثة مظنة الانفعال، فإذا صار الذكر منفعلا والأنثى فاعلا كان ذلك على خلاف مقتضى الطبيعة وعلى عكس الحكمة الإلهية)[1]. إن اللواط خطير لأنه يجعل الذكر المتفوق الأفضل الفاعل يكتسب بعض سمات الأنثى المستهجنة المنفعلة. ولذلك ما زلنا إلى اليوم نجد المجتمعات الإسلامية –على استنكارها اللواط – تفضل فى حال تحقق علاقة مثلية بين رجلين الرجل الفاعل على الرجل المنفعل الذى يحط قدر الرجال إذ يقوم وفق المخيال الاجتماعى بدور المرأة"[2].

وفحوى ذلك أن ألفة يوسف ترى أن القرآن يقلل من شأن المرأة لأنه لا يهتم بمثلية النساء اهتمامه بمثلية الرجال لأن مثلية النساء لا تمس المجتمع الذكورى على العكس من اللواط الذى يهدم النظام الذكورى، وهذه الرؤية تجعل القرآن كتابا ذكوريا، كتبه رجل، أو أنزله الله منحازا فيه للرجال ضد النساء باستبشاعه للواط فى مقابل استهجانه للسحاق!

---

[1] – النص للرازى [انظر مفاتيح الغيب، الرازى، ١٧٦/٧]

[2] – حيرة مسلمة، د. ألفة يوسف، ص١٨٤

ومن جهة أخرى تحاول ألفة يوسف أن ترفع إدانة القرآن عن فعل قوم لوط عن طريق تفسير القصة بطريقة لا تجعل من اللواط محورها، ولا الذنب الرئيسى لقوم اللوط ، فاللواط لم يكن هو المنكر الوحيد، وإنما أنكر لوط على قومه كفرهم بالله، وتشير ألفة يوسف إلى رأى" بعض الفقهاء الذين اعتبروا أن (قوم لوط إنما عوقبوا على الكفر) ولذلك دخل فى العقوبة كبيرهم وصغيرهم"[١].

وأنكر كذلك لوط على قومه أنهم كانوا يقطعون السبيل، وتذكر ألفة يوسف عدة تفسيرات لقطع السبيل منها أن المقصود "قطع المسافرين عليهم بفعلهم الخبيث وذلك أنه فيما ذكر عنهم كانوا يفعلون ذلك بمن مر عليهم من المسافرين ومن ورد بلادهم من الغرباء"[٢].

كما يرد فى القصة كذلك أن قوم لوط كانوا يأتون المنكر على اختلاف بين المفسرين فى تحديد هذا المنكر وقد ذكرت ألفة يوسف عن جماعة من المفسرين فى بيان معنى المنكر عدة أقوال منها الضرب ومنها السب وغير ذلك، ثم عقبت على تلك الآراء بقولها "غير أن الأهم ليس فى رأينا الاتفاق على معنى مرجعى واحد لقطع السبيل أو لإتيان المنكر، فلكل حججه وقراءاته، والقرآن حمال أوجه لا سيما فى مجال عبارات عامة ضبابية قابلة للتفسير على الحقيقة أو على المجاز. إن الأهم فى رأينا هو أن نتبين أن فاحشة قوم لوط لم تكن مجرد إتيان الرجال بل تجسمت فى القيام بأفعال أخرى تهدد أمن الآخرين وسلامتهم فى أجسادهم وأنفسهم"[٣].

لكن ألفة يوسف لا تكتفى بمحاولة صرف النظر عن فاحشة اللواط فى قصة قوم لوط بل تعيد النظر إلى الفاحشة نفسها من منظور نسوى جديد فتطرح هذا السؤال "هل فاحشة قوم لوط هى إتيان الرجال أم هل فاحشة قوم

---

[١] – حيرة مسلمة، د.ألفة يوسف، ص١٩٢

[٢] – حيرة مسلمة، د. ألفة يوسف، ص١٨٨

[٣] – حيرة مسلمة، د. ألفة يوسف، ص١٨٩

لوط هى إجبار الرجال على مواقعتهم دون رضاهم إلى جانب الضرب والحذف بالحجر والشتم؟"[1].

تجيب ألفة يوسف عن سؤالها بالتفرقة بين إتيان الذكور برضاهم وإتيانهم غصبا، حيث ترى أن إتيان الذكور فى القصة كان مذموما لاقترانه بإجبار الرجال على مواقعتهم، بما يعنى أن هذا الفعل لم يكن مذموما فى القصة لنفسه وإنما بسبب ما فيه من التعدى على الغير بالإجبار. وتؤكد ألفة يوسف على هذا المعنى من خلال النظر فى العرض القرآنى لموقف قوم لوط من الملائكة كما ورد فى قوله تعالى ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴾ [هود :٧٨] ، وقوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الحجر: ٦٨-٦٩] .

وتشير ألفة يوسف إلى مواضع أخرى ورد فيها الحديث عن موقف قوم لوط من الملائكة[2] لتستخلص من ذلك أن ما كان يقوم به قوم لوط هو علاقة إجبارية وليست علاقة تقوم على التراضى بين الطرفين، ودليلها على ذلك " أن قوم لوط لن يأتوا داره لعرض علاقة ممكنة على ضيوفه يمكنهم قبولها أو رفضها وفق تصور العلاقات الجنسية القائم على الإيجاب والقبول، ولكنهم أتوا دار لوط ليجبروا ضيوفه على علاقة جنسية لا يرغبون فيها، أى ليلحقوا به الخزى والفضيحة فى مجامع يعد إكرام الضيف من أسسه الأخلاقية الكبرى"[3]، ومما يدل على ذلك أيضا "أن لوطا خاف على ضيوفه وعلم أنه سيحتاج إلى المدافعة عنهم، وبديهى أن المدافعة لا تكون إلا عمن يراد به الشر بفعل ما،

---

[1] – حيرة مسلمة، د. ألفة يوسف، ص١٨٩

[2] – والمواضع التى أشارت إليها ألفة يوسف هى الآيات (٢٤-٣٧) من سورة الذاريات والآية (٣٧) من سورة القمر، وفى هذه الآيات لا يظهر فيها بطريقة مباشرة فكرة الإجبار والاغتصاب التى أشارت إليها ألفة يوسف [انظر حيرة مسلمة د. الفة يوسف، ص١٩٠]

[3] – حيرة مسلمة، د.ألفة يوسف، ص ١٩١

ولا تكون المدافعة عمن يترك له الخيار فى القيام بفعل أو عدم القيام به"[1].

وهذا استدلال واضح الفساد، إذ لا يعنى ورود ذم قوم لوط وعقابهم حين أرادوا إجبار ضيوف لوط – عليه السلام – على فعل الفاحشة أن ذمهم وعقابهم كان لأنهم أرادوا الإجبار وليس لأنهم أرادوا الفاحشة، بما يعنى أن فعل الفاحشة بلا إجبار مباح أوغير مذموم أو لا يستحق العقوبة.

لكن النتيجة التى تبينت لألفة يوسف من قراءتها لقصة لوط فى القرآن الكريم " أن فاحشة قوم لوط قد تتجاوز الضرب والحذف بالحجر والشتم إلى مواقعة الرجال عنوة أى إلى (اغتصابهم) وهو ما يصرح به ابن عاشور الذى يقر بأن من وجوه إتيان قوم لوط للفاحشة أنهم يكرهون المارين عليها. ويبدو أن الاغتصاب كان يتجه أساسا إلى الضيوف أى إلى الغرباء العابرين للقرية، وهو ما قد يفسر إشارة القرآن إلى قطع السبيل وما يفسر تركيز القصة القرآنية على حكم الضيف وما يفسر ما نقل الطبرى من أن قوم لوط قصروا (اغتصابهم) على من يحل ضيفا إذ قالوا للوط: (إنا لا نترك عملنا فإياك أن تنزل أحدا أو تضيفه أو تدعه ينزل عليك فإنا لا نتركه ولا نترك عملنا) ويؤكد ابن عاشور أن قوم لوط كانوا يقعدون بالطرق ليأخذوا من المارة من يختارونه"[2].

لكن الطاهر ابن عاشور والطبرى اللذين استدلت بكلامهما ألفة يوسف على أن قوم لوط أرادوا اغتصاب الملائكة، لم يفهما – كما فهمت ألفة يوسف – أن القرآن الكريم ذم فعلهم لأنه كان اغتصابا، بحيث إذا كانت الفاحشة تفعل بالتراضى فإنها تصبح جائزة، لم يفهم ذلك ابن عاشور ولا الطبرى ولا أحد من المفسرين من القدماء أو المحدثين، لكن النسويات يأتين بتفسيرات ما سبقهن بها من أحد من العالمين.

ولا يضارع هذا التفسير الشاذ والاستدلال الفاسد سوى تفسير آخر لألفة يوسف استدلت فيه بورود ذم الفاحشة بالإعراض عن النساء، فقد لاحظت ألفة

---

[1] – حيرة مسلمة، د.ألفة يوسف، ص ١٩١

[2] – حيرة مسلمة، د.ألفة يوسف، ص ١٩٢

يوسف أن القرآن الكريم يركز على تجسيم فاحشة قوم لوط بتخصيصها بإعراضهم عن النساء كما فى قوله تعالى ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف:٨١]، وقوله تعالى ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل:٥٤]، وقوله تعالى ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء ١٦٥-١٦٦] فتقول "وقد تجسم هذا التخصيص باعتماد العطف أو الحاليّة فمن اعتماد العطف قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء ١٦٥-١٦٦]، فإننا إذا أتبعنا قاعدة العطف اللغوية وجدنا أن استنكار إتيان الذكران متصل باستنكار ترك ما خلق الله من الأزواج. وهذا شأن قولك: (أتأكل خبزا وتترك التفاح) فإنك لا تستنكر أكل الخبز وحده وإنما تستنكر أكل الخبز وترك أكل التفاح كليهما. أما اعتماد الحاليّة فقد ظهر فى كلام الله – عز وجل– إذا يكرر أن قوم لوط يأتون الرجال من دون النساء: [الأعراف ٨٠-٨١] و [النمل ٥٤-٥٥]. وعبارة ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ هى فى موضع الحالية مما يبين أن فاحشة قوم لوط تتحقق بتوفر الصفتين معا، أى إتيان الذكور من ناحية، وإتيانهم من دون النساء من ناحية ثانية، بل إن إتيان الرجال – من المنظور اللغوى– لا يعد منهيا عنه إلا إن كان فيه التفات عن النساء وإعراض عنهن، فهو نهى عن الجمع بينهما [مفاتيح الغيب]. وهذا نظير قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة ٤٤]. فليس الاستنكار للأمر بالبر وحده ولكن لنسيان النفس فى الآن نفسه.

وسواء أعمد القرآن إلى العطف أم إلى الحالية فإن الربط بين إتيان الرجال والإعراض عن النساء لا يمكن أن يكون اعتباطا وهو ينشىء قراءتين ممكنتين لغويا: الأولى قراءة (آنيّة) تفترض أن عبارة ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ ومعناها الإعراض عن نكاح المرأة مجرد تأكيد لعبارة (إتيان الرجال) ومعناها نكاح الرجال، ذلك أنه فى اللحظة الآنية التى يأتى فيها رجل رجلا، فإنه – مبدئيا

على الأقل – يعرض عن المرأة. أما القراءة الثانية فزمانيّة تعتبر أن عبارة ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ تخصيص زمانى لإتيان الرجل الرجل، إذ يمكن أن يقتصر بعض الرجال طيلة حياتهم على إتيان الرجال ويمكن أن يجمع رجال آخرون بين إتيان الرجال وإتيان النساء فى مراحل مختلفة من حياتهم، فيكونوا بذلك من المزاوجين (bisexuels) أى إنهم لا ينتمون إلى مجموعة من يأتون الرجال ويذرون النساء"[1].

ثم ترجح ألفة يوسف أن القرآن يركز على المعنى الزمانى لا الآنى فتقول " إن العلاقة المثلية بين الرجال تفترض عنصرين الأول: هو الشوق إلى الرجال. والثانى: هو الإعراض عن الجنس المغاير أى عن النساء إعراضاً طارئاً أو مطلقاً، وقد وجدنا القرآن يركز على العنصر الثانى. فهل يكون فى تأكيد هذا العنصر أى فى تأكيد الإعراض عن النساء باعتباره اكتمال تجسيم الفاحشة دلالات لاواعية عميقة؟"[2].

إن (الدلالات اللاواعية العميقة) التى تسأل عنها ألفة يوسف لا يتصور وجودها فى كتاب إلهى تكلم به الله المنزه عن صفات المخلوقين، وإنما توجد فى النصوص البشرية التى تحمل فيها الكلمات دلالات تشير إلى اللاوعى العميق لمن كتبها من البشر، والمقصود من دلالات اللاوعى فى كلام ألفة يوسف هو ما قدمت الحديث عنه من أن المجتمعات الذكورية ترى – فى لاوعيها العميق – أن اللواط وتجنب النساء تحطيما للنظام القضيبى للعالم الذى يجعل المرأة دائما – من خلال الممارسات الجنسية فى هذا النظام القضيبى – تحت سلطة الرجل. فهل السؤال عن وجود مثل هذه الدلالات اللاواعية العميقة فى القرآن الكريم يتناسب مع كون القرآن كلام رب العالمين من الذكور والإناث ؟!

---

[1] – حيرة مسلمة، د. ألفة يوسف، ص١٩٤

[2] – حيرة مسلمة، د. ألفة يوسف، ص١٩٥

وهذه الرؤية التى قدمتها ألفة يوسف تتفق – فى جوهرها – مع رؤية نسوية أخرى رأت فيها نوال السعداوى أن الأب (الذكر) لوطا – حاشاه- لا يبالى بتقديم بناته الإناث لقومه فى سبيل حماية ضيوفه من الذكور "لقد اعتبر كرامة صديقيه من الرجال أعلى من كرامة بناته وشرفهن"[١] !

وفضلا عن كون لوط – عليه السلام – نبيا معصوما، فإنه لا يمكن تفسير قول لوط عليه السلام ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِى إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [إبراهيم:٧١] بأنه أراد تقديم بناته للزنا لأن القرآن فى موضع آخر يقرن تقديم البنات بالطهر والأمر بتقوى الله قال تعالى ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [هود:٧٨] ولا طهارة فى الزنا، والأمر بتقوى الله لا يتناسب مع حث قومه على فعل الزنا خاصة ولا تقديم بناته لذلك، ثم إنه لو دعا إلى الزنا "لكان لهم أن يقولوا الزنا واللواطة حرامان على مذهبك، فأى فائدة فى الدعوى من أحدهما إلى الآخر؟"[٢] فدل ذلك على أنه عرض على قومه أن يتزوجوا ببناته سواء أكان المقصود بذلك بناته اللاتى من صلبه أو بناته الذين هم من أهله وبنات قومه.

والخلاصة التى توصلت إليها ألفة يوسف هى "أن اللواط ليس مرادفا للجنسية المثلية. ففاحشة قوم لوط تشمل كل ما من شأنه إلحاق الضرر بالآخر وتخصص فى المجال الجنسى باغتصاب الرجال للرجال"[٣].

بل إنها تذهب فى سبيل ذلك – على غرار ما ذهبت إليه رجاء بن سلامة – إلى القول باحتمالية أن تكون الخدمة التى يقدمها الغلمان والولدان المخلدون فى الجنة خدمة جنسية "شأنهم فى ذلك شأن الحور العين"[٤]. لاسيما بالنظر إلى أوصافهم التى أوردها القرآن فى مثل قوله تعالى ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ [الطور:٢٤] وقوله تعالى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الواقعة:١٧-١٨] وقوله تعالى ﴿ وَيَطُوفُ

---

[١] – الأنثى هى الأصل، د. نوال السعداوى، ص١٦٠

[٢] – عصمة الأنبياء، فخر الدين محمد بن عمر الرازى،تحقيق محمد منير الدمشقى، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ص٨٥

[٣] – حيرة مسلمة، د. ألفة يوسف، ص٢٢٣

[٤] – حيرة مسلمة، د. ألفة يوسف، ص٢١٨

عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾ [الإنسان:١٩].

فى إطار قضية الهوية الجندرية هناك دراسات أخرى مشابهة[١] لما قدمته رجاء بن سلامة وألفة يوسف ونوال السعداوى، وفى هذه الدراسات "استخدم الباحثون نهجين رئيسيين. أولا: استكشفوا جوانب أخرى من قصة لوط بمعزل عن الممارسات الجنسية المثلية. ثانيا: حاججوا أنه حتى لو كانت تلك الأفعال إشكالية، فإنها كانت مثار اعتراض بسبب عامل آخر غير التورط فى ممارسات جنسية مثلية"[٢].

فلقد ردد "عدد من المجموعات المدافعة، بأن سلوك سكان البلدة كان محط اعتراض ليس لأنهم سعوا لجماع جنسى مثلى، بل لاعتبارات أخرى بما فى ذلك عدم وجود اهتمام بموافقة ضيوف لوط.

والحجة بأن القرآن يعارض ليس لأن الرجال محط التساؤل سعوا لعلاقة حميمة جنسية مثلية، بل لأنهم نووا انتهاكا لا يحظى بالقبول، إنما هى مبنية على افتراض يقول: إن القبول ضرورى من أجل إتمام علاقة جنسية أخلاقية أو قانونية"[٣].

وتشير كيشيا على إلى أن مثل هذه الدراسات التى تحاول الإقناع بشرعنة المثلية الجنسية "على صعيد علنى، والقيام بذلك بطريقة تندرج ضمن إطار (إسلامى) هو أمر لم يسبق له مثيل فى التاريخ الإسلامى"[٤]، فبالنسبة للغالبية العظمى من المسلمين ومعهم الفقهاء الذين تناولوا (الكبائر) – كابن حجر الهيتمى والذهبى – فإن السؤال عن مدى شرعية الممارسة الجنسية بين رجلين

---

[١] – انظر الأخلاق الجنسية والإسلام، تأملات نسوية فى القرآن والحديث والفقه، د.كيشيا على،ترجمة د. نبيل فياض، المركز الأكاديمى للأبحاث، العراق– تورنتو، كندا، بيروت، ط١، ٢٠١٦م، ص ١٩٨، حيث تشير كيشيا على إلى دراسة كوغل Kugle (الجنس والتنوع والأخلاق)، ودراسة هداية الله (المفاهيم الإسلامية الجنسية)، وعمرين جمال (قصة لوط)

[٢] – الأخلاق الجنسية والإسلام، د.كيشيا على، ص١٩٨

[٣] – الأخلاق الجنسية والإسلام، د.كيشيا على، ص١٩٩

[٤] – الأخلاق الجنسية والإسلام، د.كيشيا على، ص ١٩١

أو امرأتين هو "سؤال مثير للسخرية، علاقة بين اثنين من الجنس ذاته يستحيل بالمطلق أن تكون مشروعة"[١] لكن الدراسات النسوية جعلت الأمر مختلفا و"الأمر المختلف هنا هو المحاولة التى قام بها بعضهم للتوفيق بين الهوية (مثلية الجنس) والهوية الإسلامية، وشرعنة علاقات الشراكة الحميمة بين اثنين أو اثنتين من الجنس نفسه فى حدود الخطاب الدينى الإسلامى. إن الرغبة فى إقامة علاقات جنسية تكسر القواعد الإسلامية التقليدية لكنها علاقات تسمو إلى معايير الأخلاق الإسلامية كما نفهمها، تعيش فى نوع من التوتر مع المبادئ اللاهوتية والقانونية الحيوية بغض النظر عن تلك المبادئ التى تنهى عن الجنس غير المشروع"[٢].

إن ما تقدمه الدراسات النسوية فى قضية الهوية الجندرية لا يتصادم فقط مع ظاهر القرآن الكريم وما ثبت من السنة النبوية المطهرة، وإنما يتصادم كذلك مع الفطرة السليمة التى فطر الله الناس – ذكورا وإناثا– عليها. بل إن بعض الدراسات النسوية نفسها قد صرحت بأنه لا يمكن تجاهل الطبيعة الثنائية للجنس فالتمييز البيولوجى الشائع – وحتى فى حالات اضطراب النوع – يعسر نفيه، فتصور الفرد لجنسه "لا يمكن أن يخرج فى المنطلق عن الثنائية البيولوجية (أنثى /ذكر) باعتبارها مرجعا يمكن الاندراج فيه أو الاختلاف عنه، ولكن لا يمكن نفيه البتة"[٣].

وهكذا بدأت النسوية بالدعوة إلى المساواة بين المرأة والرجل، ثم رفضت بعض أحكام الشريعة المتعلقة بالمرأة بحجة أنها لا تعطى المرأة حقها وتمارس العنف ضد النساء، وانتهت إلى الدعوة إلى إباحة الشذوذ الجنسى.

---

[١] – الأخلاق الجنسية والإسلام، د.كيشيا على، ص ١٩٠

[٢] – الأخلاق الجنسية والإسلام، د.كيشيا على، ص ١٩١

[٣] – حيرة مسلمة، د. ألفة يوسف، ص١٦٧

الخاتمة ونتائج البحث

فى الثامن عشر من مارس عام ٢٠٠٥م، قامت الكاتبة النسوية وأستاذ الدراسات الإسلامية فى جامعة فرجينيا كومنولث أمينة ودود بتطبيق الآراء النسوية بشكل عملى فى الولايات المتحدة الأمريكية، فصلت صلاة الجمعة إماما بجماعة مختلطة تقف فيها النساء ملاصقات للرجال وبلا حجاب! ثم أمت مرة أخرى جماعة مختلطة فى إنجلترا فى السابع عشر من أكتوبر عام ٢٠٠٨م! وتتابع بعد ذلك ظهور الأئمة من النسويات فى مناطق متفرقة من العالم كإلهام مانع فى السويد، وهوارية فتاح فى بلجيكا، وجميلة الزينى فى أمريكا! وهذه إحدى نتائج تطبيق الفكر النسوى فى الواقع، أما النتائج التى ظهرت من خلال البحث فيمكن إجمالها فى النقاط الآتية:

أولا- ظهرت الآراء النسوية فى الثقافة الغربية ردا على ما عانت منه المرأة هناك من نظرة دونية واضطهاد لقرون متعاقبة، فى الوقت الذى كانت المرأة المسلمة تحظى بحقوقها التى كفلها لها الإسلام، وإن استجلاب تلك الآراء من بيئتها الغربية إلى المجتمعات الإسلامية ليس له ما يبرره سوى التبعية للأفكار النسوية الغربية الشاذة.

ثانيا- تقف وراء النسوية وتدعمها منظمات دولية على رأسها الأمم المتحدة التى تعقد المؤتمرات من أجل ترسيخ الآراء النسوية فى العالم، وتقوم بعقد الاتفاقيات الدولية التى تقرر حقوق المرأة من المنظور النسوى، وتجعل الدول التى توقع عليها ملزمة بإعطاء المرأة تلك الحقوق وإن كانت مخالفة لتعاليم الإسلام وشريعته.

ثالثا- ما وصل إليه المجتمع الغربى من انحلال أخلاقى وعلى رأسه التشريعات التى تعطى للشواذ الحق فى شذوذهم، بل تشرع لهم القوانين التى تبيح للرجل الزواج بالرجل وللمرأة الزواج من المرأة إنما يقف وراءه الفكر النسوى الذى أراد أن يساوى المرأة بالرجل فانتهى إلى مساواة الشواذ بالأسوياء.

رابعا- بعض الاتجاهات النسوية تتخذ من الدين ونصوصه موقف الرفض

الواضح والصريح للدين ونصوصه، وترى أن نصوص القرآن والسنة عملت على ضياع حقوق المرأة. وهناك اتجاهات نسوية أخرى لا ترى أن الدين كان السبب فى ضياع حقوق المرأة، وإنما تسبب فى ذلك علماء الدين من الفقهاء والمفسرين الذين فسروا النصوص الدينية وفقا للنظرة الذكورية، ومن ثم فقد طرح هذا الاتجاه تفسيرا نسويا مغايرا للقرآن الكريم. ولم تختص تلك التفسيرات بالنصوص التى تتعرض للمرأة وحقوقها، وإنما شملت كذلك النصوص التى تبدو بعيدة عن حقوق المرأة كنصوص القصص القرآنى.

خامسا- يعد مفهوم الجندر (النوع الاجتماعى) العمود الفقرى للفكر النسوى الذى تقوم عليه القضايا التى تطرحها النسوية كمساواة المرأة التامة بالرجل فى كل التشريعات، والآراء الخاصة بالعنف والتمييز ضد المرأة، وحقوق الشواذ وغير ذلك من القضايا النسوية.

سادسا- ظهر فى كثير من تلك التفسيرات النسوية التكلف والابتعاد عن مقاصد القرآن الكريم، وجاءت مخالفة لأصول التفسير كتفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة النبوية الصحيحة، والاحتكام لقواعد اللغة والسياق، وذلك لأنها – كسائر التفسيرات المنحرفة – أرادت أن تخضع القرآن الكريم لمبادئها لا أن تهتدى بهديه.

وأخيرا يمكن القول – فى ضوء ما قدمه البحث من آراء النسوية – إن النسوية لا تدعو فقط إلى أن تكون المرأة مساوية للرجل، وإنما ترى فى حقيقة الأمر أن المرأة أفضل من الرجل، كما إنها لا تطالب فقط بحقوق المرأة وإنما تطالب بحقوق ليست لها، وإذا كان ثمة انتقاص من شأن المرأة وحقوقها فى المجتمعات الإسلامية فهو لا يرجع إلى تعاليم الإسلام ونظرته إلى المرأة، بل إن الرجوع إلى تعاليم الإسلام ومبادئه هو ما يكفل للمرأة الحصول على جميع حقوقها التى سلبت منها بسبب الابتعاد عن تلك التعاليم الإسلامية، أما الدعاوى النسوية فلن تحقق للمرأة حقوقها بل ستزيد شقاءها بإدخالها فى صراعات من أجل تحقيق مكاسب زائفة.

المصادر والمراجع

أولا- الكتب العربية:

- اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة وبروتوكولها الإضافى، الأمم المتحدة بالاشتراك مع الاتحاد البرلمانى الدولى، ٢٠٢٣م.
- الأخلاق الجنسية والإسلام، تأملات نسوية فى القرآن والحديث والفقه، د. كيشيا على، ترجمة د. نبيل فياض، المركز الأكاديمى للأبحاث، العراق- تورنتو، كندا، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.
- استكشاف العقلية الذكورية، كاملا بهاسين، ترجمة مجدى النعيم، مركز أندلس للدراسات، ط١، د.ت.
- إسلام أم ملك يمين، د. فريال مهنا، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر العربى، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٧م.
- الإسلام وحقوق النساء، د. رفعت حسان (حسن)، ترجمة جهان الجندى، دار الحصاد للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.
- أصل الفروق بين الجنسين، أورزولا شوى، ترجمة بوعلى ياسين، دار الحوار، سورية اللاذقية، ط٢، ١٩٩٥م.
- الأنثى هى الأصل، د. نوال السعداوى، (ضمن كتاب دراسات عن المرأة والرجل فى المجتمع العربى)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.
- بحث فى القرآن والجنسانية، د. أمينة (آمنة) ودود، ترجمة د. رندة أبو بكر، (ضمن كتاب النسوية والدراسات الدينية)، تحرير د. أميمة أبو بكر، مؤسسة المرأة والذاكرة، ط١، ٢٠١٢م.
- بنيان الفحولة. أبحاث فى المذكر والمؤنث، د. رجاء بن سلامة، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٥م
- التعلم الإسلامى السامى للمرأة المسلمة بوصفه حقا إنسانيا: النظرية والتطبيق، د. نعمت حافظ برزنجى، ترجمة د. إبراهيم يحيى الشهابى، ضمن كتاب دعونا نتكلم. مفكرات أمريكيات يفتحن نوافذ الإيمان على عالم متغير، تحرير د. جيزيلا ويب، مراجعة د. نعمت حافظ البرزنجى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق سوريا، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م.
- تفسير قرآنى بديل ووضع المرأة المسلمة، د. أمينة ودود، ترجمة د. إبراهيم يحيى الشهابى (ضمن كتاب دعونا نتكلم. مفكرات أمريكيات يفتحن نوافذ الإيمان على عالم

متغير)، تحرير د. جيزيلا ويب، مراجعة د. نعمت حافظ البرزنجى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق سوريا، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، بيروت، دار الكتب العلمية ١٩٩٢.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- الجنس الآخر، سيمون دو بوفوار، ترجمة سحر سعيد، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٥م .
- حركة التأويل النسوى للقرآن والدين وخطرها على البيان العربى وتراثه، د. حسن الشافعى، الأزهر الشريف، هيئة كبار العلماء، ط١، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.
- حيرة مسلمة فى الميراث والزواج والمثلية الجنسية، د. ألفة يوسف، دار سحر للنشر، تونس، ط٣، ٢٠٠٨.
- الدورة الثامنة والأربعون، الجمعية العامة للأمم المتحدة (إعلان القضاء على العنف ضد المرأة)، نيويورك ١٩٩٣.
- الذكورة والأنوثة فى القرآن الكريم، د. فرح الفاضلى، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان،٢٠١٨م.
- الرجل والجنس، د. نوال السعداوى،(ضمن كتاب دراسات عن المرأة والرجل فى المجتمع العربى)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م،
- صحيح البخارى، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفى، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط٥، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥م.
- عصمة الأنبياء، فخر الدين محمد بن عمر الرازى، تحقيق محمد منير الدمشقى، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ت.
- فلينزع الحجاب، شاهدورت جافان، ترجمة فاطمة بالحسن، مراجعة إلهام سعد الله، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط١، ٢٠٠٥م.
- الفن القصصى فى القرآن، محمد أحمد خلف الله، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط٤، ١٩٧٢م.
- القرآن والنساء. قراءة للتحرر، أسماء المرابط، ترجمة محمد الفران، مركز الدراسات والبحوث فى القضايا النسائية فى الإسلام، الرباط، ٢٠١٠م.
- ما وراء الحجاب الجنس كهندسة اجتماعية، فاطمة المرنيسى، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافى العربى، الدرا البيضاء، المغرب، ط٤، ٢٠٠٥م.

- ماهية النظام الأبوى، كاملا بهاسين، ترجمة مجدى النعيم، مركز سالمة، الخرطوم، السودان، ط١، ٢٠٠٧م.
- مدخل إلى حقوق المرأة المسلمة، د. عزيزة الحبرى، ترجمة د. إبراهيم يحيى الشهابى (ضمن كتاب دعونا نتكلم. مفكرات أمريكيات يفتحن نوافذ الإيمان على عالم متغير)، تحرير د. جيزيلا ويب، مراجعة د. نعمت حافظ البرزنجى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق سوريا، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- المرأة والجندر. إلغاء التمييز الثقافى والاجتماعى بين الجنسين، د. أميمة أبو بكر و د. شيرين شكرى، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- المرأة والجنوسة فى الإسلام. الجذور التاريخية لقضية جدلية حديثة، د. ليلى أحمد، ترجمة منى إبراهيم وهالة كمال، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة، ١٩٩٩م.
- معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة، د. نهى بنت عدنان القاطرجى، باحثات لدرسات المرأة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- مفاتيح الغيب، (التفسير الكبير)، فخر الدين محمد بن عمر الرازى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨١.
- مفهوم الجندر وآثاره على المجتمعات الإسلامية. دراسة نقدية تحليلية فى ضوء الثقافة الإسلامية، أمل بنت عائض الرحيلى، باحثات لدراسات المرأة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- النساء المسلمات وإسلام ما بعد الأبوية، د. رفعت حسن (حسان)، ضمن كتاب (النسوية والدراسات الدينية)، تحرير د. أميمة أبو بكر، ترجمة د. رندة أبو بكر، مؤسسة المرأة والذاكرة، ط١، ٢٠١٢م.
- النسوية وما بعد النسوية. دراسات ومعجم نقدى، سارة جامبل، ترجمة أحمد الشامى، مراجعة هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة، ط١، ٢٠٠٢م.
- الهوية الذاتية للمرأة فى القرآن والشريعة الإسلامية، د. ميسم الفاروقى، ترجمة د. إبراهيم يحيى الشهابى (ضمن كتاب دعونا نتكلم. مفكرات أمريكيات يفتحن نوافذ الإيمان على عالم متغير)، تحرير د. جيزيلا ويب، مراجعة د. نعمت حافظ البرزنجى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق سوريا، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- وليس الذكر كالأنثى، فى الهوية الجنسية، د. ألفة يوسف، دار التنوير، للطباعة والنشر، تونس، ط١، ٢٠١٤م.

ثانيا- الكتب الأجنبية:

- Believing Women in Islam. Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an, Asma Barlas, university of texas press, Astin,United States of America, 2002.
- Inside the gender Jihad . women's reform in Islam, Amina Wadud, Oneworld, Oxford, 2006.
-

ثالثا- الرسائل الجامعية:

- التأويلات النسوية الإسلامية لبعض قضايا الفكر العقدى المعاصر. نماذج مختارة، سناء حشيفة (رسالة ماجستير) إشراف د. زهير بن كتفى، الجمهورية الجزائرية، جامعة الشهيد حمه لخضر، معهد العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م.
- خطاب الجندر فى كتاب بنيان الفحولة لرجاء بن سلامة، سعيدة شايبى وبثينة أحمان (رسالة ماجستير) إشراف الدكتور يوسف عطية، كلية الآداب واللغات، جامعة الشيخ العربى التبسى، تبسة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، السنة الجامعية ٢٠١٩/٢٠٢٠م.
- مفهوم الجندر (النوع الاجتماعى) فى الفكر الإسلامي المعاصر، ريحان حسن عمر إسماعيل، (رسالة ماجستير)، إشراف د. ليلى على التوم، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، كلية أصول الدين، قسم العقيدة الإسلامية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.
- مفهوم الجندر دراسة نقدية فى ضوء الإسلام، نهى بنت صالح الخليفى، (رسالة ماجستير)، إشراف د. هويدا الطويل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة، قسم القافة الإسلامية، ١٤٣١هـ.

رابعا– الدوريات:

- الانحرافات النسوية فى تفسير نصوص القرآن. القوامة أنموذجا، د. نوف بنت منصور بن محمد المقرن، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، العدد ٤٢

خامسا – المواقع الإلكترونية:

- اتفاقية منع جميع أشكال التمييز ضد المرأة على موقع الأمم المتحدة :

https://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/CEDAW.aspx

وأيضا:

https://documents.un.org/doc/undoc/gen/g10/472/58/pdf/g1047258.pdf?token=GwX4Oh1UAvOTVswUhz&fe=true

- إعلان الأمم المتحدة للقضاء على العنف ضد المرأة

https://undocs.org/ar/A/RES/48/104

- هيئة الأمم المتحدة

https://www.un.org/ar/gender-inclusive-language/guidelines.shtml#collapse1

- هيئة الأمم المتحدة للمساواة بين الجنسين وتمكين المرأة

https://www.unwomen.org/en